فوائد مختارة من بعض كتب الحافظ ابن رجب

جمع
فهد بن عبدالعزيز بن عبدالله الشويرخ

حقوق الطبع والنشر لكل مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين, نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين...أما بعد: فمن أبرز العلماء المتقدمين: علماً وزهداً وورعاً وحفظاً وديانةً وعبادةً :الحافظ ابن رجب رحمه الله, وقد أثنى عليه الكثير من أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين, فمن المتأخرين ما جاء في مقدمة الكتاب القيم النافع" منهج الحافظ ابن رجب الجنبلي" للشيخ علي بن عبدالعزيز الشبل. حيث قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عن ابن رجب: شخصية علمية فذة...له.إسهام عظيم في مجال توضيح عقيدة السلف الصالح, والدعوة إليها والرد على أعدائها والمخالفين لها,وقال الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل رحمه الله: من أشهر سلفنا الصالح ومن اتفقت كلمة العلماء على جلالة قدره وسعة علمه, وقال الشيخ عبدالله بن سليمان المنيع: إمام من أبرز أئمتنا معشر الحنابلة, لا في الأحكام الفرعية فحسب, وإنما في أصول الشريعة, وقواعد منهج أهل السنة والجماعة في الاعتقاد, في أصول الاعتقاد, في التوحيد بأقسامه الثلاثة, في أركان الإيمان والإسلام, وحقيقة الإحسان, وحقيقة الزهد والورع, وتمام التعلق بالله.

والحافظ ابن رجب له مصنفات كثيرة في فنون عديدة, في العقيدة, وفي الحديث وشروحه وعلله, في الفقه وقواعده وفروعه, وفي السير التراجم, وفي الرقائق.

ومما يكثر في مؤلفاته الحديث عن أحوال القلوب وتزكية النفوس مما يلين القلوب ويرقيها إلى منازل الأولياء والمقربين من الله الكريم, وقد يسّر الله فقرأت بعضاً من تلك الكتب, وجمعت ما تيسير لي من فوائد منها, أسال أن ينفع بها ويبارك فيها.

سورة الإخلاص...فضائلها كثيرة جداً:

فمنها: أنها صفة الرحمن:

في صحيح البخاري ومسلم من حديث عائشة, أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً في سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختمُ بـ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: سلوه لأي شيءٍ يصنعُ ذلك؟ فسألوه, فقال: لأنها صفة الرحمن, وأنا أحبُّ أن أقرأ بها, فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أخبروه أن الله يحبُّهُ)

ومنها: أن حُبها يوجبُ محبة الله:

لهذا الحديث المذكور آنفاً, ومنه قول ابن مسعود: من كان يحب القرآن فهو يحب الله.

ومنها: أن حُبَّها يوجبُ دخول الجنة:

فعن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله إني أحبُّ هذه السورة: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال: (إن حبك إياها أدخلك الجنة)

ومنها: أنها تعدل ثلث القرآن:

في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُردّدُها, فلما أصبح جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له- وكأن الرجل يتقالها- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده إنها لتعدلُ ثُلُث القرآن)

ومنها: أن قراءتها تكفي من الشرِّ وتمنعه:

فقد ثبت في صحيح البخاري عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه قرأها مع المعوذتين ومسح ما استطاع من جسده.

وروى أبو داود والترمذي والنسائي من طريق معاذ بن عبدالله بن خُبيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (قل ﴿ قُلْ هُوَ اللَّـهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين حين تُمسى وحيت تُصبح ثلاثاً تكفيك كل يوم) وصححه الترمذي

ورواه النسائي...ولفظه: (تكفيك كل شيءٍ)

ومنها: أن الدعاء بها مستجاب:

ففي السنن الأربعة عن عبدالله بن بريدة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يصلي يدعو يقول: "اللهم إني أسالك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت, الأحد الصمد, الذي لم يلد ولم يولد, ولم يكن له كفواً أحد" قال: (والذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى, وإذا دعي به أجاب) قال الترمذي: حسن غريب.

(الصمد) اختلفت عبارات السلف في معناه, وهي متقاربة أو متفقه, والمشهور منها قولان:

أحدهما: أن الصمد هو السيد الذي تصمد إليه الخلق في حوائجهم ومطالبهم.

القول الثاني: أن الصمد الذي لا جوف له, وأنه لا يأكل ولا يشرب والذي لا حشو له.

الاستغفار يتضمن وقاية شر الذنوب.

كان رجل في زمن الحسن البصري معتزل الناس فسأله الحسن عن حاله؟ فقال: إني أصبح بين نعمة وذنب, فأحدثُ للنعمة حمداً, وللذنب استغفاراً, فأنا مشغول بذلك, فقال الحسن: الزم ما أنت عليه, فأنت عندي أفقه من الحسن.

وقال الحسن: لا تملوا من الاستغفار...وأكثروا من الاستغفار في بيوتكم, وعلى موائدكم, وفي طرقكم, وفي أسواقكم, فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة.

وقال لقمان لابنه: أي بُنيَّ, عوِّد لسانك: اللهم اغفر لي, فإن لله ساعات لا يردُّ فيهن سائلاً.

* النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن من عادته تأخير صلاة الفجر إلى قريب طلوع الشمس, وإنما كانت عادته التغليس بها

* في الحديث دلالة على أنَّ من أخَّر الصلاة إلى آخر الوقت لعذرٍ أو غيره وخاف خروج الوقت في الصلاة إن طولها أن يخففها حتى يدركها كلها في الوقت.

* من رأى رؤيا تسرُّه فإنه يقصها على أصحابه وإخوانه المحبين له, ولا سيما إن تضمنت رؤياه بشارة لهم, وتعليماً لما ينفعهم, وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر يقول لأصحابه: (من رأى منكم الليلة رؤيا)

* من استثقل نومه في تهجده بالليل حتى رأى رؤيا تسره فإن في ذلك بشرى له.

* الملأ الأعلى– وهم الملائكة أو المقربون منهم – يختصمون فيما بينهم, ويتراجعون القول في الأعمال التي تُقرب بني آدم إلى الله عز وجل, وتكفر عنهم خطاياهم, وقد أخبر الله عنهم بأنهم يستغفرون للذين آمنوا ويدعون لهم.

قال أبو هريرة رضي الله عنه, " إذا مات ابن آدم قال الناس ما خلَّف؟ وقالت الملائكة: ما قدَّم؟" فالملائكة يسألون عن أعمال بني آدم ولهم اعتناء بذلك واهتمام به.

* الكفارات هي: إسباغ الوضوء في الكريهات, ونقل الأقدام إلى الجُمُعات أو الجماعات, والجلوس في المساجد بعد الصلوات, وسميت هذه كفارات لأنها تُكفّر الخطايا والسيئات...فهذه ثلاثة أسباب تُكفر بها الذنوب.

* أحدها:إسباغ الوضوء على الكريهات..ها هنا أمران:

أحدهما: إسباغ الوضوء, وهو إتمامه وإبلاغهُ مواضعه الشرعية.

وثانيهما: أن يكون إسباغه على الكريهات,والمراد أن يكون على حالة تكره فيها الوضوء, وقد فسر بحال نزول المصائب فإن النفس حينئذ تطلبُ الجزع فالاشتغال عنه بالصبر والمبادرة إلى الوضوء والصلاة من علامة الإيمان, كما قال الله عز وجل: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة:٤٥] وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣]

وفُسرت الكريهات بالبرد الشديد, ويشهدُ له أن بعض روايات حديث معاذ: (...إسباغ الوضوء على السَّبرات) والسَّبرة: شدة البرد, ولا ريب أن إسباغ الوضوء في شدة البرد يشقُّ على النفس, وتتألم به, وكلُّ ما يؤلمُ النفسَ ويشقُّ عليها فإنه كفارة للذنوب, وإن لم يكن للإنسان فيه صنع ولا تسبب كالمرض ونحوه كما دلت النصوص الكثيرة على ذلك.

* التألم بإسباغ الوضوء في البرد, يجب الصبر على الألم بذلك, فإن حصل به رضى فذلك مقام خواص...المحبين, وينشأ الرضي بذلك عن ملاحظة أمورٍ:

أحدها: تذكر فضل الوضوء من حطه للخطايا, ورفعه للدرجات وحصول الغرة والتحجيب به, وبلوغ الحلية في الجنة حيث بلغ.

الثاني: تذكر ما أعده الله عز وجل لمن عصاه من العذاب بالبرد والزمهرير, فإن شدة برد الدنيا يُذكر بزمهرير جهنم

الثالث: ملاحظة جلال من أمر بالوضوء, ومطالعة عظمته وكبريائه, وتذكُّرُ التهيؤ للقيام بين يديه ومناجاته في الصلاة, فذلك يهوِّن كل ألم ينال العبد في طلب مرضاته من بردِ الماء وغيره.

الرابع: استحضار اطلاع الله عز وجل على عبده حال العمل له, وتحمل المشاق لأجله...فإسباغ الوضوء في البرد- لاسيما في الليل- يطلع الله عليه, ويرضى به, ويباهي به الملائكة, فاستحضار ذلك يهون ألم برد الماء.

الخامس: الاستغراق في محبة من أمر بهذه الطاعة, وأنه يرضى بها ويحبها, كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٢] فمن امتلأ قلبه من محبة الله عز وجل أحبَّ ما يُحبّه وإن شقَّ على النفس وتألمت به, كما يُقال: المحبة تهوِّن الأثقال, وقال بعض السلف في مرضه: أحبُّهُ إليَّ أحبُّهُ إليه.

* السبب الثاني: من مكفرات الذنوب: المشي على الأقدام إلى الجماعات وإلى الجمعات, ولاسيما إن توضأ الرجل في بيته ثم خرج إلى المسجد لا يريد بخروجه إلا الصلاة فيه, في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيتٍ من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله, كانت خطوتاه: إحداهما تحطُّ خطيئةً, والأخرى ترفعُ درجة)

وكلما بعد المكان الذي يُمشي منه إلى المسجد كان المشي منه أفضل لكثرة الخُطأ, وفي صحيح مسلم عن جابر قال: كانت دارنا نائية عن المسجد, فأردنا أن نبيع بيوتنا فنقرب من المسجد, فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (إن لكم بكل خطوةٍ حسنة)

وكلما شق المشي إلى المسجد كان أفضل, ولهذا فُضِّل المشي إلى صلاة العشاء وصلاة الصبح, وعُدِلَ بقيام الليل كله, كما في صحيح مسلم عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم, قال: من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل, ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله)

وصلاة العشاء والصبح يقعان في ظُلمةٍ, فلا ينشطُ للمشي إليهما إلا كل مخلص يكتفى برؤية الله عز وجل وحده لعلمه به.

وثواب المشي إلى الصلاة في الظلم: النور التام في ظلم القيامة, كما في سنن أبي داود والترمذي عن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بشر المشائين في الظُلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة)

* السبب الثالث من مكفرات الذنوب: الجلوس في المساجد بعد الصلوات, والمراد بهذا الجلوس انتظار صلاة أخرى كما في حديث أبي هريره: (...وانتظار الصلاة بعد الصلاة, فذلكم الرباط, فذلكم الرباط, فذلكم الرباط) فجعل هذا من الرباط في سبيل الله عز وجل, وهذا أفضل من الجلوس قبل الصلاة لانتظارها, فإن الجالس لانتظار الصلاة ليؤديها ثم يذهب تقصر مدة الانتظار, بخلاف من صلى صلاة ثم جلس ينتظر أخرى فإن مدته تطول, فإن كان كلما صلى صلاة جلس ينتظرُ ما بعدها استغرق عمره بالطاعة, وكان ذلك بمنزلة الرباط في سبيل الله عز وجل.

ويدخل في قوله: (والجلوس في المساجد بعد الصلوات) : الجلوس للذكر والقراءة وسماع العلم وتعليمه ونحو ذلك, ولا سيما بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس, فإن النصوص قد وردت بفضل ذلك, وهو شبيه بمن جلس ينتظر صلاة أخرى, لأنه قد قضى ما جاء المسجد لأجله من الصلاة وجلس ينتظر طاعة أخرى.

وإنما كان ملازمة المسجد مُكفراً للذنوب, لأن فيه مجاهدة النفس, وكفاً لها عن أهوائها فإنها لا تميل إلا إلى الانتشار في الأرض لابتغاء الكسب أو لمجالسة الناس ومحادثتهم أو التنزه في الدور الأنيقة والمساكن الحسنة..فمن حبس نفسه في المساجد على الطاعة فهو مرابط لها في سبيل الله..وذلك من أفضل أنواع الصبر والجهاد.

* الدرجات: ثلاث: أحدها: إطعام الطعام, ويتأكد إطعام الطعام للجائع, وللجيران خصوصاً, وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اطعموا الجائع, وعودوا المريض, وفكوا العاني) وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها, وتعاهد جيرانك)

وكان كثير من السف يؤثر بفطوره وهو صائم ويصبح صائماً, منهم عبدالله بن عمر رضي الله عنهما,..وكان لا يفطر إلا مع اليتامى والمساكين, وربما علم أن أهله قد ردوهم عنه فلم يفطر في تلك الليلة.

* الثاني من الدرجات: لين الكلام, وفي رواية: (إفشاء السلام) وهو داخل في لين الكلام, وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: (والكلمة الطيبة صدقة) وفيه أيضاً: (اتقوا النار ولو بشق تمرة, فمن لم يجد فبكلمة طيبةٍ)

قال لقمان لابنه: يا بني لتكن كلمتك طيبة, ووجهك مبسطاً, تكن أحبَّ إلى الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة.

ومما يندب إلى إلانة القول فيه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, وأن يكون برفق, كما قال تعالى في حق الكفار ﴿ وَجادِلهُم بِالَّتي هِيَ أَحسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥] وكان كثير من السلف لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا سراً فيما بينه وبين من يأمره وينهاه.

* الثالث من الدرجات: الصلاة بالليل والناس قيام, فالصلاة من موجبات الجنة, وقد دل عليه قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ *كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ *وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات:١٥_١٩]

* قوله صلى الله عليه وسلم: (أسالك فعل الخيرات, وترك المنكرات) يتضمن طلب كل خير وترك كل شر, فإن الخيرات تجمع كل ما يحبه الله تعالى ويُقربُه من الأعمال والأقوال من الواجبات والمستحبات, والمنكرات تشمل كل ما يكرهه الله تعالى ويباعد منه من الأقوال والأعمال, فمن حصل له هذا المطلوب حصل له خير الدنيا والآخرة.

* قوله: (وحبَّ المساكين) هذا قد يقال أنه من جملة فعل الخيرات, وأفرده بالذكر لشرفه وقوة الاهتمام به, كما أفرد أيضاً ذكر حُبَّ الله تعالى وحُبَّ من يحبُّه وحبّ عمل يبلغه إلى حُبه, وذلك أصل فعل الخيرات كلها.

حب المساكين أصلُ الحب في الله تعالى, لأن المساكين ليس عندهم من الدنيا ما يُوجب محبتهم لأجله, فلا يحبون إلا لله عز وجل (والحبُّ في الله من أوثق عُرى الإيمان) و(من علامات ذوق حلاوة الإيمان) وهو (صريح الإيمان) وهو (أفضل الإيمان) ويروى عن داود عليه السلام كان يجالس المساكين, ويقول: يا رب مسكين بين مساكين, ولم يزل السلف الصالح يُوصون بحُبِّ المساكين.

وحُبُّ المساكين مستلزم إخلاص العمل لله تعالى, والإخلاص هو أساسُ الأعمال الذي لا تثبت الأعمال إلا عليه, فإن حبَّ المساكين يقتضى إسداء النفع إليهم بما يمكن من منافع الدين والدنيا, فإذا حصل إسداءُ النفع إليهم حُباً لهم والإحسان إليهم كان هذا العمل خالصاً.

وكانت زينب بنت خزيمة, أم المؤمنين, تسمى أم المساكين, لكثرة إحسانها إليهم, وقال ضرار بن مرة في وصف على بن أبي طالب في أيام خلافته: كان يعظم أهل الدين, ويحبُّ المساكين.

ومن فضائل المساكين أنهم أكثر أهل الجنة, كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (قمتُ على باب الجنة فإذا عامةُ من دخلها المساكين) وقال صلى الله عليه وسلم: (تحاجت الجنة والنار, فقالت الجنة: لا يدخلني إلا الضعفاء والمساكين)

وهم أول الناس دخولاً الجنة كما صح عنه صلى الله عليه وسلم: (إن الفقراء يسبقون الأغنياء إلى الجنة بأربعين عاماً) وفي رواية: (أنهم يدخلون الجنة بنصف يوم, وهو خمسمائة سنة)

وهو أول الناس إجازة على الصراط كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه سئل: من أول الناس إجازة على الصراط ؟ فقال: ـ فقراء المهاجرين)

ومنهم من لو أقسم على الله لأبره كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في أهل الجنة: (كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره)

وهم أفضل من الأغنياء عند كثير من العلماء أو أكثرهم, وقد دلّ على ذلك أدلة كثيرة, منها قول النبي صلى الله عليه وسلم حين مرّ به الغني والمسكين: (هذا– يعني:المسكين_ خير من ملء الأرض من هذا_يعني: الغني) وقد خرجه البخاري

واعلم أن محبة المساكين لها فوائد كثيرة.

منها: أنها توجب إخلاص العمل لله عز وجل, لأن الإحسان إليهم لمحبتهم لا يكون إلا لله عز وجل, لأن نفعهم لا يُرجى غالباً, فأما من أحسن إليهم ليمدح بذلك فما أحسن إليهم حباً لهم بل حباً للدنيا, وطلباً لمدحهم له بحب المساكين.

ومنها: أنها تزيل الكِبر, فإن المستكبر لا يرضى مجالسة المساكين.ويمتنع بسبب هذا الكبر خير كثير جداً, فإن مجالس الذكر والعلم يقع فيها كثيراً مجالسة المساكين, فإنهم أكثر هذه المجالس, فيمتنع المتكبّر من هذه المجالس بتكبره.

ومنها: أنه يوجب صلاح القلب وخشوعه.

ومنها: أن مجالسة المساكين توجب رضي من يجالسهم برزق الله عز وجل, –وتعظم عنده نعمة الله عز وجل– عليه بنظره في الدنيا إلى من دونه, ومجالسة الأغنياء توجب التسخط بالرزق, ومدة العين إلى زينتهم وما هم فيه, وقد نهى الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم عن ذلك, فقال تعالى: ﴿ وَلا تَمُدَّنَّ عَينَيكَ إِلى ما مَتَّعنا بِهِ أَزواجًا مِنهُم زَهرَةَ الحَياةِ الدُّنيا لِنَفتِنَهُم فيهِ وَرِزقُ رَبِّكَ خَيرٌ وَأَبقى﴾ [طه:١٣١] وكان عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود يجالس الأغنياء فلا يزال في غمٍّ, لأنه يرى من هو أحسن منه لباساً ومركباً ومسكناً ومطعماً, فتركهم وجالس المساكين فاستراح من ذلك.

واعلم أن المسكين إذا أطلق يراد به غالباً من لا مال له يكفيه, فإن الحاجة توجب السكون والتواضع, بخلاف الغنى فإنه يوجب الطغيان.ولهذا ذم الفقير المختال وعظم وعيده لأنه عصى بما ينافي فقره, وهو الاختيال والزهو والكِبر.

وقد يطلق اسم المسكين, ويراد به من استكان قلبه لله عز وجل, وانكسر له, وتواضع لجلاله, وكبريائه, وعظمته, خشيته, ومحبته ومهابته.فمن انكسر قلبه لله عز وجل, واستكان وخشع وتواضع, جبره الله عز وجل, ورفعه بقدر ذلك.

فالمسكين في الحقيقة من استكان قلبه لربه وخشع من خشيته ومحبته, ولا يكون المسكين ممدوحاً بدون هذه الصفة, فإن لم يخشع قلبه مع فقره وحاجته فهو جبار.

فالمؤمن يستكن قلبه لربه ويخشع له, ويتواضع, ويظهر مسكنته وفاقته إليه في الشدة والرخاء, أما في حال الرخاء فإظهار الشكر, وأما في حال الشدة فإظهار الذل والعبودية والفاقة والحاجة إلى كشف الضر.

* قوله صلى الله عليه وسلم: (وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون) المقصود من هذا الدعاء: سلامة العبد من فتن الحياة مدة حياته, فإن قدر الله عز وجل على عباده فتنة قبض عبده إليه قبل وقوعها, وهذا من أهم الأدعية, فإن المؤمن إذا عاش سليماً من الفتن, ثم قبضه الله تعالى إليه قبل وقوعها, وحصول الناس فيها كان ذلك نجاة له من الشر كله, وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يتعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وكان يخص بعض الفتن العظيمة بالذكر, وكان يتعوذ بالله في صلاته من أربع, ويأمر بالتعوذ منها: (أعوذ بالله من عذاب جهنم, ومن عذاب القبر, ومن فتنة المحيا والممات, ومن فتنة المسيح الدجال) ففتنة المحيا تدخل فيها فتن الدين والدنيا كلها, كالكفر والبدع والفسوق والعصيان, وفتنة الممات يدخل فيها سوء الخاتمة, وفتنة الملكين في القبر, فإن الناس يفتنون في قبورهم مثل أو قريباً من فتنة الدجال, ثم خص فتنة الدجال بالذكر, لعظيم موقعها, فإنه لم يكن في الدنيا فتنة قبل يوم القيامة أعظم منها, وكلما قرب الزمان من الساعة كثرت الفتن.

وفتنة السراء أشد من فتنة الضراء, قال بعضهم: فتنة الضراء يصبر عليها البر والفاجر, ولا يصبر على فتنة السراء إلا صديق.

ولما ابتلى الإمام أحمد بفتنة الضراء صبر ولم يجزع, وقال: كنت زيادة في إيماني, فلما ابتلي بفتنة السراء جزع وتمنى الموت صباحاً مساء وخشى أن يكون نقصاً في دينه.

ثم إن المؤمن لا بد أن يفتن بشيء من الفتن المؤلمة الشاقة عليه, ليمتحن إيمانه, كما قال الله تعالى: ﴿ الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ١-٢]

ولكن الله يلطف بعباده المؤمنين في هذه الفتنة, ويصبرهم عليها, ويثيبهم فيها, ولا يلقيهم في فتنة مضلة مهلكة تذهب بدينهم, بل تمر عليهم الفتن, وهم منها في عافية

* قوله صلى الله عليه وسلم: (وأسألك حبك, وحُبَّ من يُحبك, وحُبَّ العمل الذي يبلغني حُبك) هذا الدعاء يجمع كل خير, فإن الأفعال الاختيارية من العباد إنما تنشأ من محبة وإرادة, فإذا كانت محبة الله ثابتة في قلب العبد نشأت عنها حركات الجوارح, فكانت تحب ما يحبه الله ويرتضيه, فأحب ما يحبه الله عز وجل, من الأعمال والأقوال كلها, ففعل حينئذ الخيرات كلها, وترك المنكرات كلها, وأحب من يحبه الله من خلقه.

ومتى أخل العبد ببعض الواجبات أو ارتكب بعض المحرمات, فمحبته لربه غير تامة, فالواجب عليه المبادرة بالتوبة, والاجتهاد في تكميل المحبة المفضية لفعل الواجبات كلها واجتناب المحرمات كلها, وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن, ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن, ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) فإن الإيمان الكامل يقتضي محبة ما يحبه الله, وكراهة ما يكرهه الله عز وجل, والعمل يقتضي ذلك, فلا يرتكب أحد شيئاً من المحرمات, أو يخل بشيء من الواجبات إلا لتقديم هوى النفس.

الدرجة الثانية من المحبة: درجة المقربين: وهي أن يمتلئ القلب بمحبة الله تعالى حتى توجب له محبة النوافل, والاجتهاد فيها, وكراهة المكروهات, والانكفاف عنها, والرضا بالأقضية والأقدار المؤلمة للنفوس بصدورها من المحبوب, كما قال عامر بن عبد القيس: أحببت الله حباً هوَّن عليَّ كل مصيبة, ورضَّاني بكل بلية, فلا أبالي مع حبي إياه على ما أصبحت, وعلى ما أمسيت.

وقال عمر بن عبدالعزيز لما مات ولده الصالح: إن الله أحب قبضه, وإني أعوذ بالله أن يكون لي محبة في شيء من الأمور يخالف محبة الله, وكان يقول: أصبحت فما لي سرور إلا في مواقع القضاء والقدر.

ولما كانت محبة الله عز وجل لها لوازم, وهي محبة ما يحبه الله عز وجل من الأشخاص والأعمال, وكراهة ما يكرهه من ذلك, سأل النبي صلى الله عليه وسلم الله تعالى مع محبته محبة شيئين آخرين:

إحداهما: محبة من يحب الله تعالى, فإن من أحبَّ الله أحب أحباءه فيه, ووالاهم, وأبغض أعداءه وعاداهم.

الثاني: محبة ما يحبه الله تعالى من الأعمال, وبها تبلغ إلى حبه, وفي هذا إشارة إلى أن درجة المحبة لله تعالى إنما تنال بطاعة الله وبفعل ما يحبه, فإذا امتثل العبد أوامر مولاه وفعل ما يحبه أحبه الله تعالى, ورقاه إلى درجة محبته.

فأفضل ما تستجلب به محبة الله عز وجل, فعل الواجبات وترك المنكرات.

ومن أعظم ما يحصل به محبة الله تعالى من النوافل: تلاوة القرآن, وخصوصاً مع التدبر.

ومن الأعمال التي توصل إلى محبة الله تعالى وهي من أعظم علامات المحبين: كثرة ذكر الله عز وجل بالقلب واللسان.

قال بعضهم: من أدمن ذكر الله قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه.

قال بعض التابعين: علامة حب الله كثرة ذكره, فإنك لن تحب شيئاً إلا أكثرت ذكره.

فالمحبون إن نطقوا نطقوا بالذكر, وإن سكتوا اشتغلوا بالفكر.

* قال عليه الصلاة والسلام: (احفظ الله يحفظك) فمن حفظ حدود الله وراعى حقوقه حفظه الله, وحفظ الله لعبده يتضمن نوعين:

أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه, كحفظه في ولده وأهله وماله...وأن يحفظه في صحة بدنه وقوته وعقله, قال بعض السلف: العالم لا يخرف, وقال بعضهم: من جمع القرآن مُتع بعقله.

وكان أبو الطيب الطبري قد جاوز المائة سنة وهو ممتع بعقله وقوته, وقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر, فحفظها الله علينا في الكبر.

وقد يحفظ الله العبد بصلاحه في ولده وولد ولده, كما قيل في قوله تعالى:﴿ وَكَانَ أَبوهُما صالِحًا ﴾ [الكهف:٨٢] إنهما حُفظا بصلاح أبيهما.

ومن أنواع حفظ الله لمن حفظه في دنياه: أن يحفظه من شر كل من يريده بأذى من الجن والإنس. كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ [الطلاق:٢]

قالت عائشة: يكفيه غم الدنيا وهمها.

قال الربيع بن خثيم: يجعل له مخرجاً من كل ما ضاق على الناس

ومن عجيب حفظ الله تعالى لمن حفظه أن يجعل الحيوانات المؤذية بالطبع حافظة له من الأذى وساعية في مصالحه.

ومن ضيع الله ضيعه الله بين خلقه, حتى يدخل عليه الضرر بشيء ممن كان يرجو أن ينفعه, ويصير أخصَّ أهله به وأرفقهم به يؤذيه.

فالخير كله مجموع في طاعة الله والإقبال عليه, والشر كله مجموع في معصيته والإعراض عنه.

* النوع الثاني: من الحفظ وهو أشرفها وأفضلهما حفظ الله لعبده في دينه, فيحفظ عليه دينه وإيمانه في حياته من الشبهات المردية والبدع المضلة, والشهوات المحرمة, ويحفظ عليه دينه عند موته, فيتوفاه على الإسلام.

فمن أخلص لله خلصه من السوء والفحشاء, وعصمه منهما من حيث لا يشعر, وحال بينه وبين أسباب المعاصي المهلكة.

وسمع عمر رجلاً يقول: اللهم إنك تحول بين المرء وقلبه, فحل بيني وبين معاصيك. فأعجب ذلك عمر ودعا له بخير.

روى عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ يحولُ بَينَ المَرءِ وَقَلبِهِ﴾ [الأنفال:٢٤] قال: يحول بين المؤمن وبين المعصية التي تجره إلى النار.

قال بشر: ما أصرّ على معصية الله كريم, ولا آثر الدنيا على الآخرة حكيم.

ومن أنواع حفظ الله لعبده في دينه: أن العبد قد يسعى في سبب من أسباب الدنيا_إما الولايات أو التجارات أو غير ذلك_ فيحول الله بينه وبين ما أراد لما يعلم من الخيرة في ذلك وهو لا يشعر مع كراهته لذلك.

فمن قام بحقوق الله عليه فإن الله يتكفل له بالقيام بجميع مصالحه في الدنيا والآخرة, فمن أراد أن يتولى الله حفظه ورعايته في أموره كلها فليراع حقوق الله عليه, ومن أراد ألا يصيبه شيء مما يكره فلا يأت شيئاً مما يكره الله منه.

فما يؤتى الإنسان إلا من قبل نفسه ولا يصيبه المكروه إلا من تفريطه في حق ربه عز وجل, كما قال علي رضي الله عنه: لا يرجون عبد إلا ربه, ولا يخافن إلا ذنبه, وقال بعضهم: من صَفى صُفّي له, ومن خَلَّط خُلِّط عليه.

وقال مسروق: من راقب الله في خطرات قلبه عصمه الله في حركات جوارحه.

* قوله صلى الله عليه وسلم: (احفظ الله تجده أمامك) وفي رواية أخرى:(تجاهك) معناه أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه وجد الله معه في جميع أحواله يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويؤيده ويسدده, فإنه قائم على كل نفس بما كسبت, وهو تعالى مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

قال قتادة: من يتق الله يكن معه, ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب, والحارس الذي لا ينام, والهادي الذي لا يضل.كتب بعض السلف إلى أخ له: أما بعد: فإن كان الله معك فممن تخاف؟ وإن كان عليك فمن ترجو؟ والسلام.

* قوله صلى الله عليه وسلم: (تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة)

المعنى أن العبد إذا اتقى الله وحفظ حدوده, وراعى حقوقه في حال رخائه وصحته, فقد تعرف بذلك إلى الله وكان بينه وبينة معرفة, فعرفه ربه في الشدة وعرف له عمله في الرخاء, فنجاه من الشدائد بتلك المعرفة.

قال أبو جعفر السائح: أتى الحسن إلى حبيب أبي محمد هارباً من الحجاج, فقال: يا أبا محمد! احفظني من الشُّرط, هم على إثري, فقال:...ادخل البيت, فدخل الشرط على إثره, فلم يروه, فذكروا ذلك للحجاج, فقال: بل كان في بيته إلا أن الله طمس أعينهم فلم يروه.

قال الضحاك بن قيس: اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة, إن يونس عليه السلام كان يذكر الله فلما وقع في بطن الحوت قال الله تعالى:﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[الصافات:١٤٣-١٤٤] وإن فرعون كان طاغياً ناسياً لذكر الله فلما أدركه الغرق.قال: آمنت.فقال الله تعالى: ﴿آلآنَ وَقَد عَصَيتَ قَبلُ وَكُنتَ مِنَ المُفسِدِينَ ﴾ [يونس:٩١]

فإذا علم أن التعرف على الله في الرخاء يوجب معرفة الله لعبده في الشدة, فلا شدة يلقاها المؤمن في الدنيا أعظم من شدة الموت, وهي أهون مما بعدها إن لم يكن مصير العبد إلى خير, وإن كان مصيره إلى خير فهي آخر شدة يلقاها.

فالواجب على العبد الاستعداد للموت قبل نزوله بالأعمال الصالحة والمبادرة إلى ذلك, فإنه لا يُدري المرء متى تنزل به هذه الشدة من ليل أو نهار.

قال بعضهم: كانوا يستحبون أن يكون للمرء خبيئة من عمل صالح, ليكون أهون عليه عند نزول الموت,أو كما قال.

فمن أطاع الله واتقاه وحفظ حدوده في حياته, تولاه الله عند وفاته, وتوفاه على الإيمان, وثبته بالقول الثابت في القبر عند سؤال الملكين, ودفع عنه عذاب القبر, وآنس وحشته في تلك الوحدة والظلمة.

وكذلك أهول القيامة وأفزاعها وشدائدها, إذا تولى الله عبده المطيع له في الدنيا, أنجاه الله من ذلك كله.

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ [الطلاق:٢] قال: من الكرب عند الموت, ومن أفزاع يوم القيامة.وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية: ننجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة.

وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ [الأحقاف:١٢] قال: يبشر بذلك عند موته وفي قبره ويوم يبعث, فإنه لفي الجنة, وما ذهبت فرحة البشارة من قلبه.

وأما من لم يتعرف إلى الله في الرخاء, فليس له من يعرفه في الشدة لا في الدنيا ولا في الآخرة.

* قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا سألت فاسأل الله) اعلم أن سؤال الله تعالى دون خلقه هو المتعين عقلاً وشرعاً, وذلك من وجوه متعددة:

منها: أن السؤال فيه بذل ماء الوجه وذله للسائل, وذلك لا يصلح إلا لله وحده, فلا يصلح الذل إلا له بالعبادة والمسألة, وذلك من علامات المحبة الصادقة.

ومنها: أن في السؤال عبودية عظيمة لأنها إظهار للافتقار إليه, واعتراف بقدرته على قضاء الحوائج, وفي سؤال المخلوق ظلم لأن المخلوق عاجز عن جلب النفع لنفسه ودفع الضر عنها, فكيف يقدر على ذلك لغيره؟ وسؤاله إقامة له مقام من يقدر وليس هو بقادر.قال بعض السلف: إني لأستحي من الله أن أسأله الدنيا وهو مالكها, فكيف أسألها من لا يملكها. يعني المخلوق.

ومنها: أن الله يحب أن يسأل, ويغضب على من لا يسأله فإنه يريد من عباده أن يرغبوا إليه ويسألوه ويدعوه ويفتقروا إليه, ويحب الملحين في الدعاء.

والمخلوق غالباً يكره أن يسال لفقره وعجزه.قال ابن السماك: لا تسأل من يفر منك وأسأل من أمرك أن تسأله.

ومنها: أن الله تعالى يستدعي من عباده سؤاله, وينادي كل ليلة: هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأستجيب له؟ وقد قال الله تعالى:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] فأي وقت دعا العبد وجده سميعاً قريباً مجيباً, ليس بينه وبينه حجاب ولا بواب, وأما المخلوق فإنه يمتنع بالحجاب والأبواب ويعسر الوصول إليه في أغلب الأوقات.قال طاووس لعطاء: إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه ويجعل دونها حجابه, وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة.

* قوله صلى الله عليه وسلم : (وإذا استعنت فاستعن بالله) وفي استعانة الله وحده فائدتان:

إحداهما: أن العبد عاجز عن الاستقلال بنفسه في عمل الطاعات

والثانية: أنه لا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عز وجل, فمن أعانه الله فهو المعان, ومن خذله الله فهو المخذول.

فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات, وترك المحظورات, وفي الصبر على المقدورات كما قال يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨] ولهذا قالت عائشة هذه الكلمة لما قال أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله مما قالوا.

وقال موسى لقومه: ﴿ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ﴾ [الأعراف:١٢٨] وقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:١١٢] ولما بشر صلى الله عليه وسلم عثمان بالجنة على بلوى تصيبه. قال: الله المستعان.

فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في مصالح دينه وفي مصالح دنياه.كما قال الزبير في وصيته لابنه عبدالله بقضاء دينه: إن عجزت فاستعن بمولاي, فقال له: يا أبت من مولاك؟ قال: الله. قال: فما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقضِ عنه دينه فيقضيه.

وكذلك يحتاج العبد إلى الاستعانة بالله على أهوال ما بين يديه من الموت وما بعده.

كتب الحسن إلى عمر بن عبدالعزيز: لا تستعن بغير الله فيكلك الله إليه.

وقال بعضهم: فاستعن بالله واستعنه فإنه خير مستعان.

إذا علم العبد أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير أو شر, أو نفع أو ضر, وأن اجتهاد الخلق كلهم جميعاً على خلاف المقدور غير مفيد شيئاً البتة, علم حينئذٍ أن الله تعالى وحده هو الضار والنافع والمعطي والمانع, فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل, وإفراده بالاستعانة والسؤال والتضرع والابتهال, وإفراده أيضاً بالعبادة والطاعة. لأن المعبود إنما يقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار, ولهذا ذمَّ الله سبحانه من يعبد ما لا ينفع ولا يضر ولا يغني عن عابده شيئاً, وأيضاً فكثير ممن لا يحقق الإيمان في قلبه يقدم طاعة مخلوق على طاعة الله رجاء نفعه أو دفعاً لضره. فإذا تحقق العبد تفرد الله وحده بالنفع والضر وبالعطاء والمنع, أوجب ذلك إفراده بالطاعة والعبادة, ويقدم طاعته على طاعة الخلق كلهم جميعاً. كما يوجب ذلك أيضاً إفراده سبحانه بالاستعانة به, والطلب منه. فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب, فكيف يقدم طاعة شيء من التراب على طاعة رب الأرباب؟ أم كيف يُرضي التراب بسخط الملك الوهاب إن هذا لشيء عجاب!

للرضا بالقضاء أسباب:منها: يقين العبد بالله وثقته به بأنه لا يقضي للمؤمن قضاء إلا وهو خير له, فيصير كالمريض المستسلم للطبيب الحاذق الناصح, فإنه يرضى بما يفعله به من مؤلم وغيره لثقته به ويقينه أنه لا يريد له إلا الأصلح.

ومنها: النظر إلى ما وعد الله من ثواب الرضا, وقد يستغرق العبد في ذلك حتى ينسى ألم المقضي به كما روى عن بعض الصالحات من السلف أنها عثرت فانكسرت ظفرها, فضحكت وقالت: أنساني لذة ثوابه مرارة ألمه.

ومنها: وهو أعلى من ذلك كله الاستغراق في محبة المبتلي ودوام ملاحظة جلاله وجماله وعظمته وكماله الذي لا نهاية له.

* حقيقة الفرق بين الصبر والرضا, أن الصبر كف النفس وحبسها عن التسخط مع وجود الألم, والرضا يوجب انشراح الصدر وسعته, وإن وجد الإحساس بأصل الألم لكن الرضا يخفف الإحساس بالألم لما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة.

قال الحسن: الصبر كنز من كنوز الجنة, لا يعطيه الله إلا لمن كرم عليه.

الصبر الجميل هو أن يكتم العبد المصيبة ولا يخبر بها, قال طائفة من السلف في قوله تعالى: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [يوسف:٨٣] قالوا: لا شكوى معه.

قال بعض السلف: إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات: أحمد الله إذ لم تكن أعظم مما هي, وأحمد الله إذ رزقني الصبر عليها, وأحمده إذ وفقني للاسترجاع, وأحمده إذ لم يجعلها في ديني.

إذا غمس أعظم الناس بلاء..في الدنيا في نعيم الجنة غمسة, قيل له: هل رأيت بؤساً قط؟ هل مرَّ بك بؤس قط ؟ قال: لا يا رب.

وما هي إلا ساعة ثم تنقضي ويذهبُ هذا كُلُّهُ ويزُولُ

من صبر على مجاهدة نفسه وهواه وشيطانه, غلَبَ وحصل له النصر, ومن جزِع ولم يصبر على مجاهدة ذلك, غُلِبَ وقُهِرَ وأُسِرَ, وصار ذليلاً أسيراً في يدي شيطانه وهواه.

اعلم أن نفسك بمنزلة دابتك, إن عرفت منك الجدّ جدَّت, وإن عرفت منك الكسل طمعت فيك, وطلبت منك حظوظها وشهواتها.

ولنختم بذكر نبذة يسيرة من لطائف البلايا وفوائدها وحكمها.

فمنها: تكفير الخطايا بها, والثواب على الصبر عليها.

ومنها: تذكر العبد بذنوبه فربما تاب ورجع منها إلى الله عز وجل.

ومنها: زوال قسوة القلوب وحدوث رقتها.

ومنها: أنها توجب للعبد الرجوع بقلبه إلى الله, والوقوف ببابه والتضرع له والاستكانة, وذلك من أعظم فوائد البلاء, وقد ذم الله من لا يستكين له عند الشدائد, قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون:٧٦] وقال: ﴿ وَلَقَد أَرسَلنا إِلى أُمَمٍ مِن قَبلِكَ فَأَخَذناهُم بِالبَأساءِ وَالضَّرّاءِ لَعَلَّهُم يَتَضَرَّعونَ﴾ [الأنعام:٤٢] وكان بعضهم إذا فتح له في الدعاء عند الشدائد لم يحب تعجيل إجابته خشية أن ينقطع عما فتح له.

ومنها: أن البلاء يوصل إلى قلبه لذة الصبر عليه, والرضا به, وذلك مقام عظيم جداً,

ومنها: أن البلاء يقطع قلب المؤمن عن الالتفات إلى مخلوق ويوجب له الإقبال على الخالق وحده.

فالبلاء يوجب للعبد تحقيق التوحيد بقلبه وذلك أعلى المقامات وأشرف الدرجات.

ومنها: أن المؤمن إذا استبطأ الفرج ويئس منه ولا سيما بعد كثرة الدعاء وتضرعه ولم يظهر له أثر الإجابة, رجع إلى نفسه باللائمة ويقول لها: إنما أتيت من قبلك ولو كان فيك خير لأجبت, وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه, واعترافه له بأنه ليس بأهل إجابة دعائه فلذلك يسرع إليه حينئذ إجابة الدعاء وتفريج الكرب, فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله.

شرح حديث "ما ذئبان جائعان"

* الحرص حرصان: حرص فاجع, وحرص نافع, فأما النافع, فحرص المرء على طاعة الله, وأما الحرص الفاجع, فحرصُ المرء على الدنيا.

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه) يشير أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا القليل, كما أنه لا يسلم من الغنم مع إفساد الذئبين المذكورين فيها إلا القليل.

* لو لم يكن في الحرص على المال إلا تضيع العمر الشريف الذي لا قيمة له, وقد كان يُمكنُ صاحبه فيه اكتساب الدرجات العلى والنعيم المقيم, فضيعه بالحرص في طلب رزق مضمون مقسوم, لا يأتي منه إلا ما قُدِّر وقُسم, ثم لا ينتفع به, بل يتركه لغيره, ويرتحل عنه فيبقى حسابه عليه ونفعه لغيره.

* وأما حرص المرء على الشرف فهو أشدُّ فتكاً من الحرص على المال, فإن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها, والرياسة على الناس, والعلو في الأرض أضرُّ على العبد من طلب المال, وضرره أعظم, والزهد فيه أصعبُ, فإن المال يبذل في طلب الرياسة والشرف.وقل من يحرص على رياسة الدنيا بطب الولايات فيوفق, بل يوكل إلى نفسه, كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه: (يا عبدالرحمن لا تسأل الإمارة, فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها, وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها.)

* من لم ينتفع بالعلم..أحب مجالسة.أبناء الدنيا, وأحب أن يشاركهم فيما هم فيه من..مظهر بهي, وطعام شهي, وأحبَّ أن يفشى بابه, وأن يسمع قوله, ويطاع أمره.

* في الدنيا جنة معجلة وهي معرفة الله ومحبته, والأنس به, والشوق إلى لقائه, وخشية وطاعته, والعلم النافع يدل على ذلك, فمن دله علمه على دخول هذه الجنة المعجلة في الدنيا دخل الجنة في الآخرة, ومن لم يشم رائحتها لم يشم رائحة الجنة في الآخرة, ولهذا كان أشدّ الناس عذاباً في الآخرة عالم لم ينفعه الله بعلمه, وهو من أشد الناس حسرة يوم القيامة حيث كان معه آلة يتوصل بها إلى أعلى الدرجات, وأرفع المقامات, فلم يستعملها إلا في التوصل إلى أخسِّ الأمور وأدناها وأحقرها, فهو كمن كان معه جواهر نفيسة لها قيمة فباعها ببعرةٍ أو شيءٍ مستقذر لا ينتفع به, فهذا حال من يطلب الدنيا بعلمه, بل أقبح وأقبح من ذلك من يطلبها بإظهار الزهد فيها, فإن ذلك خداع قبيح جداً.

*كتب سفيان الثوري إلى عباد بن عباد, وكان في كتابه: إياك أن تكون ممن يحبُّ أن يعمل بقوله, أو ينشر قوله, أو يسمع قوله, وإياك وحب الرئاسة فإن الرجل يكون حبُّ الرياسة أحبَّ إليه من الذهب والفضة, وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة, فتفقد قلبك, واعمل بنية.

* في درجات الآخرة الباقية يشرع التنافس وطلب العلو في منازلها والحرص على ذلك بالسعي في أسبابه, وأن لا يقنع الإنسان منها بالدون مع قدرته على العلو, وأما العلو الفاني المنقطع الذي يعقبُ صاحبه غداً حسرةً وندامةً وهواناً وصغاراً فهو الذي يشرع الزهد فيه والإعراض عنه.

* يعوض الله عباده العارفين به الزاهدين فيما يفنى من المال والشرف: شرف التقوى وهيبة الخلق لهم في الظاهر ومن حلاوة المعرفة, والإيمان, والطاعة في الباطن وهي الحياة الطيبة التي وعدها الله لمن عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن.

* الرضا بالقضاء: من علامات المخبتين الصادقين في المحبة, فمتى امتلأت القلوب بمحبة مولاها رضيت بكل ما يقضيه عليها من مؤلم ومُلائم..وصار رضاها في ما يرد عليها من أحكامه وأقداره.

* الرضا بالقضاء قبل وقوعه: فهو عزم على الرضا, وقد تنفسخ العزائم عند وقوع الحقائق, ومع هذا فلا ينبغي أن يستعجل العبد البلاء, بل يسأل الله العافية.فإن نزل البلاء تلقاه بالرضا.

* الجسد عيشه: الأكلُ والشرب والنكاح واللباس والطيب وغير ذلك من اللذات الحسية..وأما الروح..فقوتها ولذتها وفرحها وسرورها في معرفة خالقها وبارئها وفاطرها وفي ما يقرب منه من طاعته وذكره ومحبته, والأنس به, والشوق إلى لقائه.

* يوجد كثير من أهل الغنى والسعة يعطي جسده حظّه من التنعيم, ثم يجد ألماً في قلبه ووحشة, فيظنه..يزول بزيادة هذه اللذات الحسية, وبعضهم يظن أنه يزول بإزالة العقل بالسكر. وكل هذا يزيد الألم والوحشة. وإنما سببُه: أن الروح فقدت قوتها وغذاءها, فمرضت وتألمت.

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه, فإن كان لابدّ فاعلاً فثلثُ طعام وثلث شراب وثلث نفس) قال بعض السلف: ما قلَّ طعام امرئ إلا رق قلبه ونديت عيناه وقال: قلة الطعام عون على التسرع إلى الخيرات.

* من وفى نفسه حظها من عيش جسده بالشهوات الحسية كالطعام والشراب فسد قلبه وقسى, وجلب له ذلك الغفلة وكثرة النوم, فنقص حظُّ روحه وقلبه من طعام المناجاة, فخسر خسراناً مبيناً.

* عيش المتقين في الجنة فلا يحتاج أن يسال عن طيبه ولذته, ويكفى في ذلك قوله تعالى: (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) [الحاقة:٢١-٢٤] ومعنى راضية, أي: عيشة يحصل بها الرضى. وفسر ابن عباس: هنيئاً: بأنه لا موت فيها, يُشير إلى أنه لم يهنهم العيش إلا بعد الموت والخلود فيها.

* قوله صلى الله عليه وسلم: (وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة) فهذا يشتمل على أعظم نعيم المؤمن في الدنيا والآخرة, وأطيب عيش لهم في الدارين.فأما لذة النظر إلى وجه الله عز وجل: فإنه أعلى نعيم أهل الجنة.وأما الشوق إلى لقاء الله: فهو أجل مقامات العارفين في الدنيا.

وإنما قال: (من غير ضراء مضرة ولا فتنة مُضلة) لأن الشوق إلى لقاء الله يستلزم محبة الموت, والموت يقع تمنيه كثيراً من أهل الدنيا, بوقوع الضراء المضرة في الدنيا وإن كان منهياً عنه في الشرع.

ويقع من أهل الدين تمنيه لخشية الوقوع في الفتن المضلة.فسأل تمنى الموت خالياً من هذين الحالين, وأن يكون ناشئاً عن محض محبة الله والشوق إلى لقائه.

* سئل بعضهم: من أنعم الناس ؟ فقال: أجسام في التراب, قد أمنت العذاب, وانتظرت الثواب.

* من سلم من ظلم غيره, وسلم الناس من ظلمه فقد عُوفي وعوفي الناس منه, فظلم العباد شر مكتسب, لأن الحق فيه لآدمي مطبوع على الشح, فلا يترك من حقه شيئاً لاسيما مع شدة حاجته يوم القيامة, فإن الأم تفرحُ يومئذ إذا كان لها حق على ولدها لتأخذه منه.

شرح حديث " لن ينجي أحد منكم عمله"

* لا تثق بكثرة العمل, فإنك لا تدري يُقبل منك أم لا, ولا تأمن ذنوبك فإنك لا تدري هل كُفرت عنك أم لا لأن عملك عنك مُغيب كله لا تدري ما الله صانع به

* أفضل الناس من سلك طريق النبي صلى الله عليه وسلم وخواص أصحابه في الاقتصاد في العبادة البدنية, والاجتهاد في الأحوال القلبية

شرح حديث " إن أغبط أوليائي عندي "

* من اكتفى من الدنيا باليسير وقنعت به نفسه فقد كفاه ذلك واستغنى به وإن كان يسيراً, قال أبو حازم: إن كان يغنيك ما يكفيك, فإن أدنى ما في الدنيا يكفيك, وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس في الدنيا شيء يكفيك.

شرح حديث "مثل الإسلام"

* قال طاووس لعطاء: إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه ويجعل دونها حجاب وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة أمرك أن تسأله ووعدك أن يجيبك

* من كانت شريفة, وهمتهُ عالية لم يرض لها بالمعاصي, فإنها خيانة ولا يرضى بالخيانة إلا من لا نفس له.

* ما أكرم العباد أنفسهم بمثل طاعة الله, ولا أهانوها بمثل معاصي الله عز وجل, فمن ارتكب المحارم فقد أهان نفسه, وفي المثل المضروب أن الكلب قال للأسد: يا سيد السباع, غير اسمي فإنه قبيح, فقال له: أنت خائن, لا يصلح لك غير هذا الاسم, قال: جربني, فأعطاه شقة لحمٍ, وقال: احفظ لي هذه إلى غدٍ, وأنا أغير اسمك, فجاع, وجعل ينظر إلى اللحم, ويصبر, فلما غلبته نفسه, وقال: أيُّ شيءٍ أعملُ باسمي, كلب إلا اسم حسن فأكل.

شرح حديث " تمثيل المؤمن بخامة الزرع"

* قال الحسن في أيام الوجع: أما والله ما هي بشر أيام المسلم...ذُكِّرَ فيها ما نسي من معاده, وكُفِّرَ بها عن خطاياه.وكان إذا دخل على مريض قد عوفي قال له: يا هذا إن الله قد ذكرك فاذكره, وأقالك فاشكره"

فهذه الأسقام والبلايا كلها كفارات للذنوب الماضية ومواعظ للمؤمنين حتى يتعظوا بها في المستقبل عن شر ما كانوا عليه.

* المؤمنون..مستضعفون في ظاهر أجسامهم وكلامهم لأنهم اشتغلوا بعمارة قلوبهم وأرواحهم عن عمارة أجسادهم, وبواطنهم قوية ثابتة عامرة يكابدون بها الأعمال الشاقة في طاعة الله...لا يخافون من ظهور ما في قلوبهم إلا خشية الفتنة على نفوسهم, وإن بواطنهم خير من ظواهرهم, وسرهم أصلح من علانيتهم.

* المؤمن يمشي مع البلاء كيفما مشي به..فيقلبه البلاء يمنة ويسرة..فتكون عاقبته العافية من البلاء, وحسن الخاتمة, ويوقى ميتة السوء.

* من تواضع لعظمة الله وصبر على بلائه كانت عاقبته الجنة وسلم في الدنيا والآخرة من البلاء, ورجيت العافية له.

شرح حديث "يتبع الميت ثلاث"

قال الله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم:٤٤] قال بعض السلف: في القبر, يعني: أن العمل الصالح يكون مهاداً لصاحبه في القبر, حيث لا يكون للعبد من متاع الدنيا فراش ولا وساد ولا مهاد, بل كل عاملٍ يفترش عمله ويتوسده من خيرٍ أو شر.

* القلب السليم هو الذي ليس فيه محبة شيءٍ مما يكرهه الله, فدخل في ذلك: سلامته من الشرك الجلي والخفي, ومن الأهواء البدع, ومن الفسوق والمعاصي, كبائرها وصغائرها, الظاهرة والباطنة, كالرياء, والعجب, والغل, والحقد, والحسد, وغير ذلك, وهذا القلب السليم هو الذي لا ينفع يوم القيامة سواه, قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء:٩٨-٩٩]

* عون الله للعبد على قدر قوة عزيمته وضعفها, فمن صمم على إرادة الخير أعانه وثبته, كما قيل:

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ وتأتي على قدر الكرام المكارمُ

قال أبو حازم: إذا عزم العبد على ترك الآثام أتته الفتوح.يشير إلى ما يفتحُ عليه بتيسر الإنابة والطاعة.قال: من صدق العزيمة يئس منه الشيطان, ومتى كان العبدُ متردداً طمع فيه الشيطان وسوَّافه ومنَّاه.

* قال بعضهم: إنما سُمِّي الذهبُ ذهباً, لأنه يذهبُ, وسمِّيت الفضة فضةً لأنها تنفضُّ, يعني تنفضُّ بسرعة, فلا بقاء لهما, فمن كنزهما, فقد أراد بقاء ما لا بقاء له, فإن نفعهما ما هو إلا بإنفاقهما في وجوه الخير وسبل الخير.

قال الحسن: بئس الرفيق الدرهم والدينار, لا ينفعانك حتى يفارقانك, فما داما مكنوزين فما يضران ولا ينفعان, وإنما نفعهما بإنفاقهما في الطاعات, قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة:٣٤] والآية ذم ووعيد لمنع يمنع حقوق ماله الواجبة من الزكاة وصلة الرحم وقرى الضيف والإنفاق في النوائب

* القلب واللسان هما عبارة عن الإنسان, كما يقال: الإنسان بأصغريه, قلبه ولسانه.فمن استقام قلبه ولسانه استقام شأنه كله.

*كان السلف يوصون بإتقان العمل وتحسينه دون مجرد الإكثار منه, فإن العمل القليل مع التحسين والإتقان أفضل من الكثير مع عدم الإتقان.

شرح حديث "اللهم بعلمك الغيب"

كان ابن عون رحمه الله إذا اشتد غضبه على أحد قال: بارك الله فيك, ولم يزد.

وقال الفيضل رحمه الله: أنا منذُ خمسين سنة أطلب صديقاً إذا غضب لا يكذب علي ما أجده.

فإن من لا يملك نفسه عند الغضب إذا غضب قال فيمن غضب عليه ما ليس فيه من العظائم, وهو يعلم أنه كاذب, وربما عِلِمَ الناسُ بذلك ويحمله حقده وهوى نفسه على الإصرار على ذلك.

* الموجب لخشية الله في السر والعلانية أمور:

منها: قوة الإيمان بوعده ووعيده على المعاصي

ومنها: النظر في شدة بطشه وانتقامه وقهره, وذلك يوجب للعبد ترك التعرض لمخالفته, كما قال الحسن: ابن آدم, هل لك طاقة بمحاربة الله, فإن من عصاه فقد حاربه.وقال بعضهم: عجبتُ من ضعيف يعصي قوياً.

ومنها:قوة المراقبة له, والعلم بأنه شاهد ورقيب على قلوب عباده وأعمالهم.

* أكثر الناس يرى أنه يخشى الله في العلانية والشهادة, ولكن الشأن في خشية الله في الغيب إذا غاب عن أعين الناس, قال بعضهم: ليس الخائف من بكى وعصر عينيه, إنما الخائف من ترك ما اشتهى من الحرام إذا قدر عليه

* عن زبيد اليامي, قال: إني لأحبُّ أن تكون لي نية في كلِّ شيءٍ حتى في الطعام والشراب* عن سفيان الثوري: ما عالجت شيئاً أشدَّ عليَّ من نيتي, لأنها تتقلبُ عليّ

* قال ابن المبارك: رُب عملٍ صغير تُعظمه النية, ورُب عملٍ كبيرٍ تُصغره النية,

* قال سهل بن عبدالله: ليس على النفس شيء أشقَّ من الإخلاص, لأنه ليس لها فيه نصيب

* قال يوسف بن الحسين الرازي: أعزُّ شيء في الدنيا: الإخلاص! وكم اجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي, وكأنه ينبتُ فيه على لون آخر.

* قوله صلى الله عليه وسلم في تفسير الإحسان: (أن تعبد الله كأنك تراه) يشير إلى أن العبد يعبد الله على هذه الصفة, وهي: استحضار قُربه, وأنه بين يديه كأنه يراه, وذلك يوجب الخشية, والخوف, والهيبة, والتعظيم, ويوجب أيضاً: النصح في العبادة, وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها.

* قال بعضهم: خفِ الله على قدر قُدرته عليك, واستحي منه على قدر قُربه منك.

* خاتمة السُّوء تكونُ بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس, من جهة عمل سيئ, ونحو ذلك, فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت

* قال عبدالعزيز بن أبي رواد: حضرت رجلاً عند الموت, يلقن: لا إله إلا الله, فقال في آخر ما قال: هو كافر بما تقول, ومات على ذلك, قال: فسألت عنه, فإذا هو مدمن خمر. فكان عبدالعزيز يقولُ: اتقوا الذنوب, فإنها هي التي أوقعته.

* كان سفيان يشتد قلقله, فكان يبكي, ويقول: أخاف أن أكون في أم الكتاب شقياً, ويبكي, ويقول: أخاف أن أسلب الإيمان عند الموت.

* قال الحسن: ما زالت التقوى بالمتقين, حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام.

* قال سفيان بن عيينه: لا يُصيبُ العبدُ حقيقة الإيمان, حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال, وحتى يدع الإثم, وما تشابه منه.

* قوله صلى الله عليه وسلم: (ألا وإن في الجسد مضغة, إذا صلحت صلح الجسد كله, وإذا فسدت فسد الجسد كله, إلا وهي القلب) فيه إشارة إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه, واجتنابه للمحرمات, واتقائه للشبهات, بحسب صلاح حركة قلبه. فإن كان قلبه سليماً, ليس فيه إلا محبة الله, محبة ما يحبه الله, وخشية الله, وخشية الوقوع فيما يكرهه, صلحت حركات الجوارح كلِّها, ونشأ عن ذلك اجتنابُ المحرمات كلها, وتوقي الشُّبهات, حذراً من الوقوع في المحرمات. وإن كان القلب فاسداً قد استولى عليه اتباع هواه, وطلبُ ما يحبُّه ولو كَرِهَهُ الله, فسدت حركات الجوارح كلها, وانبعث إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب هوى القلب.

فلا صلاح للقلوب حتى تستقر فيها معرفة الله, وعظمته, ومحبته, وخشيته, ومهابته, والتوكل عليه, وتمتلئُ من ذلك, وهذا هو حقيقة التوحيد, وهو معنى " لا إله إلا الله " فلا صلاح للقلوب حتى يكون إلهها الذي تألهُهُ, وتعرفُه, وتحبُّه, وتخشاهُ, هو الله, وحده لا شريك له.

* قال الحسن: ما نظرت ببصري, ولا نطقت بلساني, ولا بطشت بيدي, ولا نهضت على قدمي, حتى أنظر على طاعة أو معصية, فإن كانت طاعة تقدمت, وإن كان معصيةً تأخرتُ.

* كان السلف إذا أردوا نصيحة أحدٍ, وعظوه سراً, حتى قال بعضهم: من وعظ أخاه فيما بينه وبينه, فهي نصيحة, ومن وعظه على رؤوس الناس, فإنما وبَّخه.

* قال معمر: أنصح الناس لك: من خاف الله فيك
* قال عبدالعزيز بن أبي داود: كان من كان قلبكم إذا رأى الرجلُ من أخيه شيئاً, يأمرُهُ في رفقٍ, فيؤجر في أمرِه ونهيهِ, وإن أحدَ هؤلاء يخرقُ بصاحبه, فيستغضبُ أخاه, ويهتكُ سترهُ.
* الذي يتعين على المسلم الاعتناء به: أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم, ثم يجتهد في فهم ذلك, ثم يشتغل بالتصديق بذلك إن كان من الأمور العلمية, وإن كان من الأمور العملية بذل وسعه في الاجتهاد في فعل ما يستطيعه من الأوامر واجتناب ما يُنهى عنه, وتكون همته مصروفة إلى ذلك, لا إلى غيره.
فأما إن كانت همّته مصروفه عند سماع الأمر والنهي إلى فرض أمور قد تقع وقد لا تقع, فإن هذا مما يدخل في النهي, ويثبطُ عن الجد في متابعة الأمر
* سال رجل ابن عمر عن استلام الحجر, فقال له: رأيت النبي يستلمه ويقبله, فقال له الرجل: أرأيت إن غُلبت عليه ؟ أرأيت إن زوحمتُ؟ فقال له ابن عمر: اجعل "أرأيت " باليمن رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يستلمُهُ ويقبلُهُ.
ومراد ابن عمر رضي الله عنهما: أن لا يكون له همّ إلا في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم, ولا حاجة إلى فرض العجز عن ذلك, أو تعسره قبل وقوعه, فإنه قد يفتر العزم عن التصميم على المتابعة, فإن التفقه في الدين, والسؤال عن العلم إنما يحمد إذا كان للعمل, لا للمراء والجدال.
ولهذا المعنى كان كثير من الصحابة والتابعين يكرهون السؤال عن الحوادث قبل وقوعها, ولا يجيبون عن ذلك, وكان زيد بن ثابت إذا سئل عن الشيء, يقول: كان هذا؟ فإن قالوا: لا, قال: دعوه حتى يكون.

* قال حسان بن أبي سنان: ما شيء أهون من الورع إذا رابك شيء فدعه.
وهذا إنما يسهل على مثل حسان رحمه الله.
* من حسَّن إسلامه ترك ما لا يعينه من قولٍ وفعلٍ, واقتصر على ما يعينه من الأقوال والأفعال.
وأكثر ما يرادُ بترك ما لا يعني: حفظ اللسان من لغو الكلام.قال عمر بن عبدالعزيز: " من عدّ كلامه من عمله, قلَّ كلامه, إلا فيما يعنيه" وهو كما قال, فإن كثيراً من الناس لا يعد كلامه من عمله, فيجازف فيه ولا يتحرى.
دخلوا على بعض الصحابة في مرضه, ووجهُهُ يتهلل, فسألوه سبب تهلل وجهِهِ, فقال: ما من عمل أوثق عندي من خصلتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني, وكان قلبي سليماً للمسلمين.
* قال بعض السلف: "التواضع: أن تقبل الحق من كل من جاء به, وإن كان صغيراً" فمن قبل الحق ممن جاء به سواء كان صغيراً أو كبيراً, وسواء كان يُحبه أو لا يحبه, فهو متواضع, ومن أبى قبول الحق تعاظماً عليه, فهو متكبر.
* غمطُ الناس: هو احتقارهم وازدراؤهم, وذلك يحصل من النظر إلى النفس بعين الكمال, وإلى غيره بعين النقص.
* قال بعض السلف: يعرض على ابن آدم يوم القيامة ساعات عمره, فكل ساعةٍ لم يذكر الله فيها, تتقطع نفسه عليها حسرات.
فمن هنا يعلم أن ما ليس بخير من الكلام, فالسكوت عنه أفضل من التكلم به, اللهم إلا ما تدعو إليه الحاجة, مما لا بُدَّ منه.
وأيضاً فإن الإكثار من الكلام الذي لا حاجة إليه, يوجبُ قساوة القلب.

* النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالكلام بالخير, والسكوت عما ليس بخير, فليس الكلام مأموراً به على الإطلاق, ولا السكوت كذلك, بل لا بد من الكلام بخير, والسكوت عن الشَّرِّ, وكان السلف كثيراً ما يمدحون الصمت عن الشر, وعما لا يعني, لشدته على النفس, ولذلك يقع فيه الناس كثيراً, فكانوا يعالجون أنفسهم ويجاهدونها على السكوت عما لا يعنيها.

* الغضب جماع الشر, والتحرز منه جماع الخير

* قوله صلى الله عليه وسلم لمن استوصاهُ: " لا تغضب " يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون مراده: الأمر بالأسباب التي توجب حسن الخلق, فإن النفس إذا تخلقت بهذه الأخلاق, وصارت لها عادةً, أوجب لها ذلك دفع الغضب عند حصول أسبابه

والثاني: أن يكون مراده: لا تعمل بمقتضى الغضب إذا حصل لك, بل جاهد نفسك على ترك تنفيذه, والعمل بما يأمر به, فإذا لم يمتثل الإنسان ما يأمره به غضبه وجاهد نفسه على ذلك اندفع عنه شرُّ الغضب, وربما سكن عنه غضبه, وذهب عاجلاً, فكأنه–حينئذٍ_ لم يغضب.

* أصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره...وقايةً تقيه من ذلك, وهو فعل طاعته, واجتناب معاصيه.

* قال الشافعي: أعزُّ الأشياء ثلاثة: الجود من قلةٍ, والورع في خلوةٍ, وكلمةُ الحق عند من يُرجى ويُخاف.

* قال أبو سليمان: الخاسر: من أبدى للناس صالح عمله, وبارز بالقبيح من هُو أقربُ إليه من حبل الوريد.

*كان الإمام أحمد رحمه الله ينشدُ:

إذا خلوت الدهر يوماً فلا تقل   خلوتُ ولكن قل علي رقيبُ

ولا تحسبن الله يغفل ساعة   ولا أن ما يخفى عليه يغيبُ

* خرج الإمام أحمد, وأبو داود, والترمذي, والنسائي, وابن ماجه, من حديث أبي بكر رضي الله عنه, عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من رجل يُذنبُ ذنباً, ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي, ثم يستغفر الله, إلا غفر الله له, ثم قرأ هذه الآية:﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران:١٣٥]

* قال مالك بن دينار: البكاء على الخطيئة يحطُّ الخطايا, كما تحطُّ الريح الورق اليابس.

* قال صلى الله عليه وسلم: (اتق الله حيثما كنت, واتبع السيئة الحسنة تمحها, وخالق الناس بخُلُقٍ حسن) قوله صلى الله عليه وسلم: (وخالق الناس بخُلُقٍ حسن) هذا من خصال التقوى, ولا تتم التقوى إلا به, وإنما أفرده بالذكر, للحاجة إلى بيانه, فإن كثيراً من الناس يظن أن التقوى هي القيام بحق الله, دون حقوق عباده, فنص على الأمر بإحسان العشرة للناس. والجمع بين القيام بحقوق الله وحقوق عباده عزيز جداً, لا يقوى عليه إلا الكُمَّلُ من الأنبياء والصديقين.

وقد روي عن السلف تفسير (حسن الخلق)

فعن ابن المبارك قال: هو بسط الوجه, وبذل المعروف, وكف الأذى.

وقال الإمام أحمد: حُسنُ الخُلُق: أن تحتمل ما يكون من الناس.

* الحياء نوعان:

أحدهما: ما كان خُلُقاً وجبلةً غير مكتسب, وهو من أجل الأخلاق التي يمنحها الله العبد. والثاني: ما كان مكتسباً عن معرفة الله, ومعرفة عظمته, وقربه من عباده واطلاعه عليهم, فهذا من أعلى خصال الإيمان, بل هو من أعلى درجات الإحسان.

وقد يتولد الحياء من الله من مطالعة نعمه, ورؤية التقصير في شكرها.

فإذا سُلِبَ العبدُ الحياء المكتسب والغزيري, لم يبق له ما يمنعه من ارتكاب القبيح, فصار كأنه لا إيمان له. والله أعلم.

* الصلاة نور مطلق, فهي نور للمؤمنين في قلوبهم وبصائرهم,..وهي نور للمؤمنين في قبورهم, ولا سيما صلاة الليل, كما قال أبو الدرداء: "صلوا في ظُلم الليل لظلمة القبور" وهي في الآخرة نور للمؤمنين في ظلمات القيامة وعلى الصراط.

* الصدقة برهان على صحة الإيمان, وسبب هذا: أن المال تحبه النفوس, وتبخل به, فإذا سمحت بإخراجه لله, دلَّ على صحة إيمانها بالله, ووعده ووعيده.

* الله سبحانه إذا أراد توفيق عبد وهدايته, أعانه ووفقه لطاعته,فكان ذلك فضلاً منه وإذا أراد خذلان عبدٍ وكله إلى نفسه وخلى بينه وبينها, فأغواه الشيطان لغفلته عن ذكر الله, ﴿ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾[الكهف:٢٨]وكان ذلك عدلاً منه

* الصدقة بغير المال نوعان: أحدهما:ما فيه تعدية الإحسان إلى الخلق, فيكون صدقة عليهم, وربما كان أفضل من الصدقة من المال, وهذا كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, فإنه دعاء إلى طاعة الله, وكف عن معاصيه, وذلك خير من النفع بالمال, وكذلك تعليم العلم النافع, وإقراءُ القرآن, وإزالة الأذى عن الطريق, والسعي في جلب النفع للناس, ودفع الأذى عنهم, وكذلك الدعاء للمسلمين, والاستغفار لهم

النوع الثاني: ما نفعه قاصر على فاعله.

ومن أنواع الصدقة القاصرة على نفس العامل بها: أنواع الذكر, والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم, وتلاوة القرآن.

ومنها أيضاً: محاسبة النفس على ما سلف من أعمالها, والندم, والتوبة من الذنوب السالفة, والحزن عليها, واحتقار النفس والازدراء عليها, والبكاء من خشية الله, والتفكر في ملكوت السموات والأرض, وفي أمور الآخرة, ونحو ذلك مما يزيد الإيمان في القلب, وينشأ عنه كثير من أعمال القلوب: كالخشية, والمحبة, والرجاء, والتوكل, وغير ذلك.

* البلاغة في الموعظة مُستحسنة, لأنها أقرب إلى قبول القلوب واستجلابها, والبلاغة: هي التوصل إلى إفهام المعاني المقصودة, وإيصالها إلى قلوب السامعين, بأحسن صورة من الألفاظ الدالة عليها, وأفصحها, وأحلاها للأسماع, وأوقعها في القلوب, وكان صلى الله عليه وسلم يقصّرُ خطبه, ولا يطليها, بل كان يُبلغُ ويُوجزُ

* فسر الزهد في الدنيا بثلاثة أشياء كلها من أعمال القلوب, لا من أعمال الجوارح

أحدها: أن يكون العبد بما في يد الله, أوثق منه بما في يد نفسه, وهذا ينشأ من صحة اليقين وقوته.

الثاني: أن يكون العبد إذا أصيب بمصيبة في دنياه, من ذهاب مال, أو ولد, أو غير ذلك أرغب في ثواب ذلك, مما ذهب منه من الدنيا أن يبقى له, وهذا أيضاً ينشأ من كمال اليقين.

الثالث: أن يستوي عند العبد حامده وذامُّه في الحق, وهذا من علامات الزهد في الدنيا, واحتقارها, وقلة الرغبة فيها.

* قال الحسن: من أحب الدنيا وسرته, خرج حُب الآخرة من قلبه وبكل حال فالزهد في الدنيا شعار أنبياء الله, وأوليائه, وأحبائه.

* قال الحسن: لا تزال كريماً على الناس, أو لا يزال الناس يكرمونك ما لم تعاط ما في أيديهم, فإذا فعلت ذلك, استخفوا بك, وكرهوا حديثك, وأبغضوك.

فمن سأل الناس ما بأيديهم, كرهوه وأبغضوه, لأن المال محبوب لنفوس بني آدم, فمن طلب منهم ما يحبونه, كرهوه لذلك, وأما من زهد فيما أيدي الناس, وعف عنهم, فإنهم يحبونه, ويكرمونه لذلك, ويسود به عليهم, كما قال أعرابي لأهل البصرة: من سيد أهل هذه القرية؟ قالوا: الحسن, قال: بما سادهم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه, واستغنى هو عن دنياهم.

* من كلام يحيى بن معاذ الرازي: ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضره, وإن لم تفرحه فلا تغُمّهُ, وإن لم تمدحه فلا تذمه.

* روي عن بعض السلف, قال: أدركتُ قوماً لم يكن لهم عيوب, فذكروا عيوب الناس, فذكر الناس لهم عيوباً, وأدركت أقواماً كانت لهم عيوب, فكفوا عن عيوب الناس, فنُسيت عيوبهم! أو كما قال.

* لا طريق إلى معرفة الله, وإلى الوصول إلى رضوانه, والفوز بقربه, ومجاورته في الآخرة, إلا بالعلم النافع, الذي بعث الله به رسله, وأنزل به كتبه.

* جميع المعاصي محاربة لله جل جلاله, فإن من عصى الله فقد حاربه, لكن كلما كان الذنب أقبح كان أشد محاربةً لله, ولهذا سمى الله أكلة الربا وقطاع الطريق محاربين لله ورسوله, لعظيم ظلمهم لعباده, وسعيهم بالفساد في بلاده. وكذلك معادةُ أولياؤه, فإن الله يتولى نصرة أوليائه ويحبهم ويؤيدهم فمن عاداهم فقد عادى الله وحاربه

* من أحبّهُ الله رزقهُ محبته, وطاعته, والاشتغال بذكره, فأوجب ذلك القرب منه, والزلفى لديه, والحظوة عنده

* قال يحيى بن معاذ: ليس بصادق من ادعى محبة الله جل جلاله, ولم يحفظ حدوده.

* لبعض المتقدمين:

تعصى الإله وأنت تزعمُ حُبهُ هذا لعمري في القياس شنيعُ

لو كان حبُّك صادقاً لأطعته إن المُحبَّ لمن يُحبُّ مُطيعُ

فجميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله.

* أصل كل داءٍ التخم,...وقلة الغذاء توجب رقة القلب, وقوة الفهم, وانكسار النفس, وضعف الهوى والغضب, وكثرة الغذاء توجب ضدّ ذلك.

قال سفيان الثوري: إن أردت أن يصح جسمك ويقل نومك فأقل من الأكل.

وعن مالك بن دينار قال: لا ينبغي للمؤمن أن يكون بطنه أكبر همِّه, وأن تكون شهوته هي الغالبة عليه.

كان النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوعون كثيراً, ويتقللون من أكل الشهوات, وإن كان ذلك لعدم وجود الطعام, إلا أن الله لا يختار لرسوله إلا أكمل الأحوال وأفضلها.

* قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا خاصم فجر) ويعني بـ (الفجور) أن يخرج عن الحق عمداً, حتى يصير الحق باطلاً, والباطل حقاً, فإذا كان الرجل ذا قدرة عند الخصومة على أن ينتصر للباطل, ويخيل للسامع أنه حق, كان ذلك من أقبح المحرمات وأخبث خصال النفاق.

* لما تقرر عند الصحابة رضي الله عنهم أن النفاق هو اختلاف السر والعلانية, خشي بعضهم على نفسه أن يكون إذا تغير عليه حضور قلبه ورقته وخشوعه عند سماع الذكر, برجوعه إلى الدنيا, والاشتغال بالأهل والأولاد والأموال, أن يكون ذلك منه نفاقاً.

* قال الحسن: أحبُّ عباد الله إليه أكثرهم ذكراً.

وقال كعب: من أكثر ذكر الله برئ من النفاق

وقال الربيع بن أنس عن بعض أصحابه: علامةُ حبِّ الله كثرة ذكره, فإنك لن تُحبُّ شيئاً إلا أكثرت ذكره.

وقول عائشة: كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه.

المعنى: في حال قيامه, ومشيه, وقعوده, واضطجاعه, وسواء كان على طهارة أو حدث.

كلما قويت المعرفة صار الذكر يجرى على لسان الذاكرين من غير كلفةٍ, ولذا يُلهم أهلُ الجنة التسبيح, كما يُلهمون النفس, وتصير " لا إله إلا الله " لهم كالماء البارد لأهل الدنيا.

أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله, يوم لا ظل إلا ظله: (رجل ذكر الله خالياً, ففاضت عيناه)

الذكر لذة قلوب العارفين, قال الله جل جلاله: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨]

قال مالك بن دينار: ما تلذذ المتلذذُون بمثل ذكر الله.

* من زاد ذكره لله وتلاوته لكتابه زاد إيمانه, ومن ترك الذكر الواجب بلسانه نقص إيمانه.

* قال سفيان الثوري: لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي لطارت القلوب اشتياقاً إلى الجنة وخوفاً من النار.

*كان ابن مسعود يقول في دعائه: اللهم زدنا إيماناًً ويقيناً وفهماً.

* ما استجلب العبد من الله ما يحب واستدفع منه ما يكره بأعظم من اشتغاله بطاعة الله وعبادته وذكره, وهو حقيقة الإيمان, فإن الله يدفع عن الذين آمنوا.

*كان سفيان يقول: الدعاء: ترك الذنوب, يعني: الاشتغال بالطاعة عن المعصية

* الإيمان له حلاوة وطعم يذاق بالقلوب كما يذاق حلاوة الطعام والشراب بالفم, فإن الإيمان هو غذاء القلوب وقوتها كما أن الطعام والشراب غذاء الأبدان وقوتها, وكما أن الجسد لا يجد حلاوة الطعام والشراب إلا عند صحته فإذا سقم لم يجد حلاوة ما ينفعه من ذلك, بل قد يستحلي ما يضره وما ليس فيه حلاوة لغلبة السقم عليه, فكذلك القلب إنما يجد حلاوة الإيمان من أسقامه, فإذا سلم من مرض الأهواء المضلة والشهوات المحرمة وجد حلاوة الإيمان حينئذ, ومتى مرض وسقم لم يجد حلاوة الإيمان, بل يستحلي ما فيه هلاكه من الأهواء والمعاصي, ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) لأنه لو كمل لوجد حلاوة الإيمان فاستغنى بها عن استحلاء المعاصي.سئل وهيب بن الورد: هل يجد طعم الإيمان من يعصي الله؟ قال:لا, ولا من هم بالمعصية.قال ذو النون: كما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه كذلك لا يجد القلب حلاوة العبادة مع الذنوب.

* محبة الله على درجتين:

إحداهما: فرض, وهي المحبة المقتضية لفعل أوامره الواجبة, والانتهاء عن زواجره المحرمة, والصبر على مقدوراته المؤلمة, فهذا القدر لا بد منه في محبة الله, ومن لم تكن محبته على هذا الوجه فهو كاذب في دعوى محبة الله....فمن وقع في ارتكاب شيء من المحرمات أو أخل بشيء من فعل الواجبات فلتقصره في محبة الله, حيث قدم محبة نفسه وهواه على محبة الله, فإن محبة الله لو كملت لمنعت من الوقوع فيما يكرهه

الدرجة الثانية من المحبة: وهي فضل مستحب: أن ترتقي المحبة من ذلك إلى التقرب بنوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق الشبهات والمكروهات, والرضى بالأقضية المؤلمات.قال عمر بن عبدالعزيز لما مات ولده الصالح: إن الله أحب قبضه, وأعوذ بالله أن تكون لي محبة تخالف محبة الله

* محبة الرسول فتنشأ عن معرفته ومعرفة كماله وأوصافه, وعظم ما جاء به...وهي أيضاً على درجتين:

إحداهما: فرض, وهي ما اقتضى طاعته في امتثال ما جاء به من الواجبات والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات والرضى بذلك, وأن لا يجد في نفسه حرجاً مما جاء به ويسلم له تسليماً, وأن لا يتلقى الهدى من غير مشكاته

الدرجة الثانية: فضل مندوب إليه, وهي: ما ارتقى بعد ذلك إلى اتباع سنته وآدابه وأخلاقه والاقتداء به في هديه وسمته وحسن معاشرته لأهله وإخوانه, وفي التخلق بأخلاقه الظاهرة في الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وفي جوده وإيثاره وصفحه وحلمه وتواضعه وفي أخلاقه الباطنة من كمال خشيته لله ومحبته له, وشوقه إلى لقائه ورضاه بقضائه,وتعلق قلبه به دائما, وصدق الالتحاء إليه والتوكل والاعتماد عليه.

* لا تتم محبة الله ورسوله إلا بمحبة أوليائه موالاتهم وبغض أعدائه ومعاداتهم
* المؤمن يحب الإيمان أشد من حب الماء البارد في شدة الحر للظمآن
* الصحيح أن التائب توبة نصوحاً مغفور له جزماً, لكن المؤمن يتهم توبته, ولا يجزم بصحتها وقبولها, فلا يزال خائفاً من ذنبه وجلاً.
* جمهور العلماء على أن من تاب من ذنب فالأصل أن يستر على نفسه ولا يقرَّ به عند أحد, بل يتوب منه فيما بينه وبين الله عز وجل
* سير آخر الليل محمود في سير الدنيا بالأبدان, وفي سير القلوب إلى الله بالأعمال.
* ما يذكر في مناقب العباد من الاجتهاد المخالف للشرع ينهي عن ذكره, على وجه التمدح به, والثناء به على فاعله.
* قال الحسن: إن دور الجنة تبنيها الملائكة بالذكر, فإذا فتر العبد انقطع الملك عن البناء, فتقول له الملائكة: ما شأنك يا فلان؟ فيقول: إن صاحبي فتر. قال الحسن: -أمدوهم رحمكم الله_ بالنفقة.
* لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الرؤية في حديث جرير بن عبدالله البجلي أمر عقب ذلك بالمحافظة على الصلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها,...فمن حافظ على هاتين الصلاتين على مواقتيهما وأدائهما وخشوعهما وحضور القلب فيهما رُجي له أن يكونُ ممن ينظر إلى الله في الجنة في وقتهما
* قال سفيان الثوري: خلاف ما بيننا وبين المرجئة ثلاث:
نقول الإيمان قول وعمل. ويقولون: الإيمان قول ولا عمل.
ونقول: الإيمان يزيد وينقص. وهم يقولون: لا يزيد ولا ينقص.
ونقول: النفاق. وهم يقولون: لا نفاق.

* قيل: إن البيعة سميت بيعة لأن صاحبها با ع نفسه لله

* الإصرار على المعاصي وشعب النفاق من غير توبة يخشي منها أن يعاقب صاحبها بسلب الإيمان بالكلية, وبالوصول إلى النفاق الخالص, وإلى سوء الخاتمة, نعوذ بالله من ذلك. كما يقال: إن المعاصي بريد الكفر.

* الجلباب: هي الملاءة المغطية للبدن كله, تلبس فوق الثياب.

* المشروع تميز النساء عن الرجال جملة, فإن اختلاطهن بالرجال يُخشى منه وقوع المفاسد.

* وقد فسر عبيدة السلماني قول الله عز وجل: ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٩] بأنها تدنيه من فوق رأسها, فلا تظهر إلا عينها, وهذا كان بعد نزول الحجاب, وقد كن قبل الحجاب يظهرن بغير جلباب, ويرى من المرأة وجهها وكفاها, وكان ذلك ما ظهر منها من الزينة في قوله عز وجل: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور:٣١] ثم أمرت بستر وجهها وكفيها.

* القلوب تستجيب إلى الحق بالموعظة الحسنة ما لا تستجيب بالعنف, لا سيما إذا عمَّ بالموعظة ولم يخص أحداً, وإن خصمه فإنه يلين له القول.

* رأى الحسن قوماً يزدحمون على حمل نعش بعض الموتى الصالحين, فقال: في عمله تنافسوا."

يشير إلى أن المقصود الأعظم متابعته في عمله لا مجرد ازدحام على حمل نعشه

* في هذا تحذير من الغفلة عن تدبر الآيات فمن رأى ما حلّ بالعصاة ولم يتنبه بذلك من غفلته, ولم يتفكر في حالهم, ويعتبر بهم فليحذر من حلول العقوبة به, فإنها إنما حلت بالعصاة لغفلتهم عن التدبر وإهمالهم اليقظة والتفكر.

* قال ابن راهويه: المساجد لا ينبغي أن تزين إلا بالصلاة والبر.

* قال سفيان الثوري: يكره النقش والتزويق في المساجد, وكل ما تزين به المساجد..إنما عمارته ذكر الله عز وجل.

* روى عن بعض السلف أن أول ما استنكر من أمر الدين لعب الصبيان في المساجد.

*كان للإمام أحمد مكان يقوم فيه في الصلاة المكتوبة خلف الإمام, فتأخر يوماً فنحاه الناس وتركوه, فجاء بعد ذلك فقام في طرف الصف ولم يقم فيه, وقال: قد جاء أنه يكره أن يوطن الرجل مكانه.

*كان كثير من السلف يأتي المسجد قبل الأذان, منهم: سعيد بن المسيب, وكان الإمام أحمد يفعله في صلاة الفجر.

* قال بعض السلف في قول الله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ [الواقعة: ١٠] إنهم أول الناس خروجاً إلى المسجد والجهاد, وفي قوله: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الحديد: ٢١] قال مكحول: التكبيرة الأولى مع الإمام, وقال غيره: التكبيرة الأولى والصف الأول.

* روى أن تسوية الصفوف وإقامتها توجب تآلف القلوب

* قال ابن عبدالبر: لا أعلم خلافاً بين العلماء أن من بكر وانتظر الصلاة, وإن لم يصل في الصف الأول, أفضل ممن تأخر ثم تخطى الصفوف إلى الصف الأول.

* مفتاح الصلاة: الطهور, ولها افتتاح بالتكبير, ولها استفتاح وهو ما يقوله بين التكبير والقراءة من الذكر والدعاء.

* قال بعض السلف: لولا من يذكر الله في غفلة الناس لهلك الناس

* الصلاة قوت قلوب المؤمنين وغذاؤها, بما اشتملت عليه من ذكر الله ومناجاته وقربه, فمن أتم صلاته فقد استوفى غذاء قلبه وروحه, فما دام على ذلك كملت قوته ودامت صحته وعافيته, ومن لم يتم صلاته فلم يستوف قلبه وروحه قوتها وغذاءها, فجاع قلبه وضعف, وربما مرض أو مات لفقد غذائه, كما يمرض الجسد ويسقم إذا لم يكمل تناول غذائه وقوته الملائم له.

* الغناء المهيج للطباع, المثير للهوى, فلا يباح لرجل ولا امرأة فعله, ولا استماعه, فإنه داع إلى الفسق والفتنة في الدين, والفجور, فيحرم, كما يحرم النظر بشهوة إلى الصور الجميلة, فإن الفتنة تحصل بالنظر والسماع, ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم زنا العينين: النظر, وزنا الأذن: الاستماع..وقد بسطنا القول في حكم الغناء وآلات اللهو في كتاب مفرد سميناه " نزهة الاستماع في مسألة السماع "

* من قال "لا إله إلا الله " بلسانه, ثم أطاع الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذَّب فعله قوله, ونقص من كمال توحيده بقدر معصيته الله في طاعة الشيطان والهوى, ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ [القصص:٥٠] ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص:٢٦]

فيا هذا كن عبد الله لا عبد الهوى, فإن الهوى يهوي بصاحبه في النار.

* قول " لا إله إلا الله " تقتضي أن لا يحب سواه, فإن الإله هو الذي يطاع, محبة وخوفاً ورجاء, ومن تمام محبته محبةُ ما يحبه, وكراهة ما يكرهه, فمن أحب شيئاً مما يكرهه الله, أو كره شيئاً مما يحبه الله لم يكمل توحيده, ولا صدقه في قول: لا إله إلا الله, وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما يحبه الله, وما أحبه مما يكرهه. قال الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد:٢٨]

* قال الحسن: اعلم أنك لا تحب الله, حتى تحب طاعته.

* وسئل ذو النون: متى أُحبُّ ربي؟ قال: إذا كان ما يبغضه عندك أمرَّ من الصبر

* قال يحيى بن معاذ: ليس بصادق من ادعى محبة الله, ولم يحفظ حدوده.

* متى تمكنت المحبة في القلب لم تنبعث الجوارح إلا في طاعة الرب.

* نار جهنم تنطفئ بنور إيمان الموحدين.

* من صدق في قول " لا إله إلا الله " لم يحبّ سواه, ولم يرجُ إلا إياه, ولم يخشَ أحداً إلا الله, ولم يتوكل إلا على الله, ولم يبق له بقية من آثار نفسه وهواه.

رسالة: إنما يخشى الله من عباده العلماء

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر:٢٨] دلت هذه الآية على إثبات الخشية للعلماء بالاتفاق وعلى نفيها عن غيرهم على أصح القولين, وعلى نفي العلم عن غير أهل الخشية أيضاً.

عن مجاهد والشعبي: العالم من خاف الله.

وعن ابن مسعود قال: كفي بخشية الله علماً وكفى بالاغترار بالله جهلاً.

وذكر ابن أبي الدنيا عن عطاءٍ الخراساني في هذه الآية: العلماء بالله الذين يخافونه

وعن يحي بن جعدة عن علي قال: يا حملة العلم, اعملوا به, فإنما العالم من عمل بما علم فوافق علمه عمله, وسيكون أقوام يحملون العلم ولا يجاوز تراقيهم, يخالف علمهم عملهم, وتخالف سريرتهم علانيتهم, يجلسون حِلقاً فيُباهي بعضهم بعضاً, حتى أن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه, أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عز وجل.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لا يكون الرجلُ عالماً حتى لا يحسد من فوقه ولا يحقر من دونه, ولا يبتغي بعلمه ثمناً.

قال الحسن: إنما الفقيه: الزاهد في الدنيا, الراغب في الآخرة, البصير بدينه, المداوم على عبادة ربه.

وعن الربيع بن أنس عن بعض أصحابه قال: علامة العالم: خشية الله عز وجل.

وسئل سعد بن إبراهيم: من أفقه أهل المدينة ؟ قال: أتقاهم لربه.

وسئل الإمام أحمد عن معروف, وقيل له: هل كان معه علم ؟ فقال: كان معه أصل العلم خشية الله عز وجل.

ومما يبين أن العلم يوجب الخشية وأن فقده يستلزم فقد الخشية وجوه:

إحداها: أن العلم بالله تعالى وما له من الأسماء والصفات كالكبرياء والعظمة والجبروت والعزة وغير ذلك يوجب خشيته, وعدم ذلك يستلزم فقد هذه الخشية, وبهذا فسر الآية ابن عباس, فقال: يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وجلالي وسلطاني.

ويشهد لهذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية) وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً)

والمقصود أن العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله من قدرِهِ, وخلقِهِ, والتفكير في عجائب آياته المسموعة المتلوة, وآياته المشاهدة المرئية من عجائب مصنوعاته, وحِكَمِ مبتدعاته ونحو ذلك مما يوجب خشيته وإجلاله, ويمنع من ارتكاب نهيه, والتفريط في أوامره, هو أصل العلم النافع, ولهذا قال طائفة من السلف عمر بن عبدالعزيز وسفيان بن عيينة: أعجب الأشياء قلب عرف ربه ثم عصاه.

وقال بشر بن الحارث: لو يفكر الناس في عظمة الله لما عصوا الله.

الوجه الثاني: أن العلم بتفاصيل أمر الله ونهيه, والتصديق الجازم بذلك, وما يترتب عليه من الوعد والوعيد والثواب والعقاب, مع تيقن مراقبة الله واطلاعه ومشاهدته ومقته لعاصيه وحضور الكرام الكاتبين, كل هذا يوجب الخشية, وفعل المأمور وترك المحظور, وإنما يمنع الخشية ويوجب الوقوع في المحظورات الغفلة عن استحضار هذه الأمور, والغفلة من أضداد العلم, والغفلة والشهوة أصل الشر,.. والشهوة وحدها لا تستقل بفعل السيئات إلا مع الجهل.

فالمؤمن يحتاج دائماً كل وقت إلى تجديد إيمانه وتقوية يقينه, وطلب الزيادة في معارفه, والحذر من أسباب الشك والريب والشبهة.

الوجه الثالث: أن تصور حقيقة المخوف يوجب الهرب منه, وتصور حقيقة المحبوب توجب طلبه فإذا لم يهرب من هذا, ولم يطلب هذا, دلَّ على أن تصوره لذلك ليس تاماً.

الوجه الرابع: أن كثيراً من الذنوب قد يكون سبب وقوعه جهل فاعله بحقيقة قبحه, وبغض الله له, وتفاصيل الوعيد عليه, وإن كان عالماً بأصل تحريمه وقبحه, لكنه يكون جاهلاً بما ورد فيه من التغليظ والتشديد ونهاية القبح, فجهله بذلك هو الذي جرأهُ عليه, وأوقعه فيه, ولو كان عالماً بحقيقة قبحه لأوجب ذلك العلم تركه خشية من عقابه.

الخامس: أن كل ما علم علماً تاماً جازماً بأن فعل شيئاً يضره ضرراً راجحاً لم يفعله, فإن هذا خاصة العاقل, فإن نفسه تنصرف عما يعلم رجحان ضرره بالطبع, فإن الله جعل في النفس حباً لما ينفعها وبغضاً لما يضرها, فلا يفعل ما يجزم بأنه يضرها ضرراً راجحاً, ولا يقع ذلك إلا مع ضعيف العقل.

فالزاني والسارق ونحوهما لو حصل لهم جزم بإقامة الحدود عليهم...لم يقدموا على ذلك, فإذا علم هذا فأصل ما يوقع الناس في السيئات الجهل...فالفاعل للذنب لو جزم بأنه حصل له به الضرر الراجح لم يفعله, لكنه يزينُ له ما فيه من اللذة التي يظن أنها مصلحة, ولا يجزم بوقوع عقوبته, بل يرجو العفو بحسنات أو توبة أو بعفو الله, وهذا كله من اتباع الظن وما تهوى الأنفس, ولو كان له علم كامل لعرف به رجحان ضرر السيئة, فأوجب له ذلك الخشية المانعة له من مواقعتها. ونبين هذا بـ

الوجه السادس: وهو أن لذات الذنوب لا نسبة لها إلى ما فيها من الآلام والمفاسد البتة فإن لذاتها سريعة الانقضاء, وعقوباتها والآمها أضعاف ذلك, ولهذا قيل: " إن الصبر على المعاصي أهون من الصبر على عذاب الله " وقيل: " رب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً " ومؤثر لذة الذنوب كمؤثر لذة الطعام المسموم الذي فيه من السموم ما يمرض أو يقتل, ومن هاهنا يعلم أنه لا يؤثر لذات الذنوب إلا من هو جاهل بحقيقة عواقبها...ورجاؤه التخلص من شرها بتوبةٍ أو عفوٍ أو غير ذلك..وقد لا يتمكن من التوبة, فإن من وقع في ذنب تجرأ عليه عمره, وهان عليه خوض الذنوب وعَسُرَ عليه الخلاص منها, ولهذا قيل:" من عقوبة الذنب: الذنب بعده.

وإذا قُدِّرَ أنه تاب منه فقد لا يتمكن من التوبة النصوح الخالصة التي تمحو أثره بالكلية, وإن قدر أنه تمكن من ذلك, فلا يقاوم اللذة الحاصلة بالمعصية ما في التوبة النصوح المشتملة على الندم والحزن والخوف والبكاء وتجشم الأعمال الصالحة, من الألم والمشقة, ولهذا قال الحسن: "ترك الذنب أيسر من طلب التوبة" ويكفى المذنب ما فاته في حال اشتغاله بالذنوب من الأعمال الصالحة التي كان يمكنه تحصيل الدرجات بها.وإن قُدِّر أنه عفي عنه من غير توبة فإن كان ذلك بسبب أمر مكفر عنه كالمصائب الدنيوية, وفتنة القبر, وأهوال البرزخ, وأهوال الموقف, ونحو ذلك, فلا يستريب عاقل أن ما في هذه الأمور من الآلام والشدائد أضعاف أضعاف ما حصل في المعصية من اللذة.وإن عُفي عنه بغير سبب من هذه الأسباب المكفرة ونحوها فإنه لا بد أن يلحقه عقوبات كثيرة منها: ما فاته من ثواب المحسنين, فإن الله تعالى وإن عفا عن المذنب فلا يجعله كالذين آمنوا وعملوا الصالحات, ومنها: ما يلحقه من الخجل والحياء من الله عز وجل عند عرضه عليه وتقريره بأعماله.

سؤال الله العلم النافع:

جاءت السنة بتقسيم العلم إلى نافع وإلى غير نافع, والاستعاذة من العلم الذي لا ينفع, وسؤال العلم النافع. ففي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: (اللهم إني أعوذُ بك من علم لا ينفع, ومن قلب لا يخشع, ومن نفس لا تشبع, ومن دعوة لا يستجاب لها)

وخرج النسائي من حديث جابر, أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: (اللهم إني أسألك علماً نافعاً, وأعوذ بك من علم لا ينفع)

التوسع في بعض العلوم:

التوسع في علم الأنساب هو مما لا يحتاج إليه, وقد سبق عن عمر, وغيره, النهي عنه, مع أن طائفة من الصحابة والتابعين كانوا يعرفونه ويعتنون به.

وكذلك التوسع في علم العربية لغة ونحواً هو مما يشغل عن العلم الأهم, والوقوف معه يحرم علماً نافعاً. وكره أحمد التوسع في معرفة الله وغريبها, وأنكر على أبي عبيد توسعه في ذلك, وقال: هو يشغل عما هو أهم منه.

ولهذا يقال: إن العربية في الكلام كالملح في الطعام, يعني: أنه يؤخذ منها ما يصلح الكلام, كما يؤخذ من الملح ما يصلح الطعام, وما زاد على ذلك فإنه يفسده.

العلوم المحدثة:

وما أُحدث بعد الصحابة من العلوم التي توسع فيها أهلها, وسموها علوماً, وظنوا أن من لم يكن بها عالماً بها فهو جاهل أو ضال, فكلها بدعة, وهي من محدثات الأمور المنهي عنها.

فمن ذلك ما أحدثته المعتزلة من الكلام في القدر,..ومن الكلام في ذات الله تعالى وصفاته بأدلة العقول, وهو أشد خطراً من الكلام في القدر, لأن الكلام في القدر كلام في أفعاله تعالى, وهذا كلام في ذاته وصفاته تعالى.

ومن ذلك_أعني محدثات العلوم_ ما أحدثه فقهاء أهل الرأي من ضوابط وقواعد عقلية, وردّ فروع الفقه إليها, وسواء أخالفت السنن أم وافقتها, طرداً لتلك القواعد المقررة.

ذم الخصام والجدال والمراء:

ومما أنكره أئمة السلف: الجدال والخصام والمراء في مسائل الحلال والحرام أيضاً, ولم يكن ذلك طريقة أئمة الإسلام, وإنما أُحدث ذلك بعدهم.

قال بعض السلف: إذا أراد الله بعبد خيراً, فتح له باب العمل, وأغلق عنه باب الجدل, وإذا أراد الله بعبده شراً, أغلق عنه باب العمل, وفتح له باب الجدل.

قال مالك: المراء والجدال في العلم يُذهب بنور العلم.

وقال: المراء في العلم يُقسي القلب ويورث الضغن

فما سكت من سكت_ عن كثرة الخصام والجدال من سلف الأمة_ جهلاً ولا عجزاً, ولكن سكتوا عن علم وخشية لله. وما تكلم من تكلم وتوسع من توسع بعدهم لاختصاصه بعلم دونهم. ولكن حباً للكلام وقلة ورع.

وقد فتن كثير من المتأخرين بهذا, فظنوا أن من كثُر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين, فهو أعلم ممن ليس كذلك, وهذا جهل محض.

وأنظر إلى أكابر الصحابة وعلمائهم كأبي بكر وعمر وعلي ومعاذ وابن مسعود وزيد بن ثابت كيف كانوا؟ كلامهم أقل من كلام ابن عباس, وهو أعلم منه.

وكذلك كلام التابعين أكثر من كلام الصحابة, والصحابة أعلم منهم.

وكذلك تابعو التابعين كلامهم أكثر من كلام التابعين, والتابعون أعلم منهم.

فليس العلم بكثرة الرواية, ولا بكثرة المقال, ولكنه نور يقذف في القلب يفهم به العبدُ الحقَّ, ويميز به بينه وبين الباطل, ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد.

أفضل العلوم ما كان مأثوراً عن الصحابة والتابعين:

فأفضل العلوم في تفسير القرآن, ومعاني الحديث, والكلام في الحلال والحرام: ما كان مأثوراً عن الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى أن ينتهي إلى زمن أئمة الإسلام المشهورين المقتدى بهم.

وما حدث بعدهم من التوسع لا خير في كثير منه, إلا أن يكون شرحاً يتعلق بكلامهم, وأما ما كان مخالفاً لكلامهم فأكثره باطل, أو لا منفعة فيه, وفي كلامهم في ذلك كفاية وزيادة, فلا يوجد في كلام من بعدهم من حق, إلا وهو في كلامهم موجود بأوجز لفظ وأخصر عبارة.

ولا يوجد في كلام من بعدهم من باطل إلا في كلامهم ما يبين بطلانه, لمن فهمه وتأمله.

ويوجد في كلامهم من المعاني البديعة, والمآخذ الدقيقة ما لا يهتدي إليه من بعدهم ولا يُلم به.

فمن لم يأخذ العلم من كلامهم, فاته ذلك الخير كله, مع ما يقع في كثير من الباطل متابعة لمن تأخر عنهم.

العلم النافع ما أثمر خشية الله ومحبته وإجلاله:

العلم ثمرته: خشية الله كما قال عز وجل: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) [فاطر:٢٨] قال ابن مسعود وغيره: كفى بخشية الله علماً, وكفى بالاغترار بالله جهلاً.وقال بعض السلف: ليس العلم بكثرة الرواية, ولكن العلم الخشية. وكلامهم في هذا المعنى كثير جداً.وسبب ذلك النافع يدل على أمرين:

أحدهما: على معرفة الله وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الباهرة. وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه وخشيته ومهابته ومحبته ورجاءه والتوكل عليه والرضا بقضائه والصبر على بلائه.

والأمر الثاني: المعرفة بما يحبه ويرضاه, وما يكرهه ويُسخطه من الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال.

فإذا أثمر العلم لصاحبه هذا فهو علم نافع.

علامة العلم النافع:

من علامات العلم النافع: أنه يدل صاحبه على الهرب من الدنيا, وأعظمها الرياسة والشهرة, والمدح, فالتباعد عن ذلك والاجتهاد في مجانبته من علامات العلم النافع.فإذا وقع شيء من ذلك من غير قصد واختيار كان صاحبه في خوف شديد من عاقبته, بحيث يخشى أن يكون مكراً واستدراجاً, كما كان الإمام أحمد يخاف ذلك على نفسه عند اشتهار اسمه وبعد صيته.

ومن علامات العلم النافع: أن صاحبه لا يدعي العلم ولا يفخر به على أحد, ولا ينسب غيره إلى الجهل, إلا من خالف السنة وأهلها, فإنه يتكلم فيه غضباً لله, لا غضباً لنفسه, ولا قصداً لرفعتها على أحد.

وأهل العلم النافع...يسيئون الظن بأنفسهم ويُحسنون الظن بمن سلف من العلماء, ويُقرُّون بقلوبهم وأنفسهم بفضل من سلف عليهم, وبعجزهم عن بلوغ مراتبهم والوصول إليها أو مقاربتها

علامة العلم الذي لا ينفع:

وعلامة هذا العلم الذي لا ينفع أن يُكسب صاحبه الزهو والفخر والخيلاء, وطلب العلو والرفعة في الدنيا والمنافسة فيها, وطلب مباهاة العلماء ومماراة السفهاء وصرف وجوه الناس إليه.وهذا بخلاف ما كان عليه السلف من احتقار نفوسهم, وازدرائها باطناً وظاهراً.

ومن علامات ذلك: عدم قبول الحق والانقياد إليه, والتكبر على من يقول الحق.

ومن علمه غير نافع فليس له شغل سوى التكبر بعلمه على الناس, وإظهار فضل علمه عليهم, ونسبتهم إلى الجهل, وتنقصهم ليرتفع بذلك عليهم. وهذا من أقبح الخصال وأردئها.

فنسأل الله تعالى علماً نافعاً, ونعوذ به من علم لا ينفع, ومن قلب لا يخشع, ومن نفس لا تشبع, ومن دعاء لا يسمع. اللهم إنا نعوذ بك من هؤلاء الأربع.

"الخشوع في الصلاة" أو "الذل والانكسار للعزيز الجبار"

* الخشوع: هو خشوع القلب, وهو انكساره لله, وخضوعه وسكونه عن التفاته إلى غير من هو بين يديه, فإذا خشع القلب خشعت الجوارح كلها تبعاً لخشوعه.

ومن جملة خشوع الجوارح: خشوع البصر أن يلتفت عن يمينه أو يساره.

وأصل الخشوع: هو لين القلبِ ورقته وسكونه وخشوعه وانكساره وحرقته.

* العلم النافع هو ما باشر القلوب فأوجب لها السكينة والخشية والإخبات لله والتواضع والانكسار له.

* مما يظهر فيه الخشوعُ والذلُّ والانكسارُ من أفعال الصلاة:

وضع اليدين إحداهما على الأخرى في حال القيام, وقد رُوي عن الإمام أحمد رحمه الله أنه سئل عن المراد بذلك فقال: هو ذلّ بين يدي عزيز

قال علي بن محمد المصري الواعظ, رحمه الله: ما سمعتُ في العلم بأحسن من هذا.

وملاحظة هذا المعنى في الصلاة يُوجبُ للمصلى أن يتذكر وقوفه بين يدي الله عز وجل للحساب.

ومن ذلك: إقباله على الله عز وجل, وعدم التفاته إلى غير ذلك, وهو نوعان:

أحدهما: عدم التفات قلبه إلى غير من هو مناجٍ له, وتفريغُ القلب للرب عز وجل

والثاني: عدم الالتفات بالبصر يميناً وشمالاً, وقصر النظر على موضع السجود.

ومن ذلك: الركوع, وهو ذل بظاهر الجسد.

ولهذا كانت العرب تأنف منه ولا تفعله حتى بايع بعضهم النبي صلى الله عليه وسلم على أن لا يخر إلا قائماً, يعني: أن يسجد من غير ركوع.

كذا فسره الإمام أحمد رحمه اله تعالى, والمحققون من العلماء

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه: (خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وما استقل به قدمي) إشارة إلى أن خشوعه في ركوعه قد حصل بجميع جوارحه, ومن أعظمها القلب الذي هو ملك الأعضاء والجوارح, فإذا خشع خشعت الجوارح والأعضاء كلُّها تبعاً لخشوعه.

ومن ذلك: السجود وهو أعظم ما يظهرُ ذلُّ العبد لربه عز وجل حيث جعل العبدُ أشرف ما له من الأعضاء وأعزها عليه وأعلاها حقيقة: أوضع ما يُمكنه, فيضعُه في التراب مُتعفراً, ويتبعُ ذلك انكسار القلب وتواضعه, وخشوعه لله عز وجل.

ولهذا كان جزاء المؤمن إذا فعل ذلك أن يقربه الله عز وجل إليه فإن (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

* ومن أنواع العبادات التي يظهر فيها الذلُّ والخضوع لله عز وجل: الدعاء.قال الله عز وجل: ﴿ ادعوا رَبَّكُم تَضَرُّعًا وَخُفيَةً﴾[الأعراف:٥٥] وقال: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠]

فمما يظهر فيه الذل من الدعاء:

رفع اليدين:

ومن ذلك افتقار القلب في الدعاء وانكساره لله عز وجل, واستشعار الفاقة إليه والحاجة.وفي المسند والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله لا يستجيب دعاء من قلبٍ غافلٍ لاه)

ومن ذلك: إظهار الذل باللسان في نفس السؤال والدعاء والإلحاح فيه.

قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: كان يُقال: (أفضلُ الدعاء الإلحاحُ على الله والتضرعُ فيه)

* قد عُلِمَ أن العبادة إنما تبنى على ثلاثة أصول: الخوف, والرجاء, والمحبة, وكل منها فرض لازم, والجمع بين الثلاثة حتم واجب, فلهذا كان السلف يذمون من تعبد بواحد منها وأهمل الآخرين, فإن بدع الخوارج ومن أشبههم إنما حدثت من التشديد في الخوف والإعراض عن المحبة والرجاء, وبدع المرجئة نشأت من التعلق بالرجاء وحده والإعراض عن الخوف, وبدع كثير من أهل الإباحة والحلول ممن ينسب إلى التعبد نشأت من إفراد المحبة والإعراض عن الخوف والرجاء.

*كثُر في المتأخرين المنتسبين إلى السلوك تجريد الكلام في المحبة وتوسيع القول فيها بما لا يساوي على الحقيقة مثقال ذرة, إذ هو عارٍ عن الاستدلال بالكتاب والسنة, وخال من ذكر كلام من سلف من سلف الأمة وأعيان الأئمة.وإنما هو مجرد دعاوى, قد تُشرفُ بأصحابها على مهاوي,....وكثير ما تقترن دعوى المحبة بالشطح والإدلال وما ينافي العبودية من الأقوال والأفعال.

* قال إبراهيم بن الجنيد: يُقال: علامة المحبّ على صدق الحب ستُّ خصالٍ:

أحدها: دوام الذكر بقلبه بالسرور لمولاه.

الثانية: إيثارهُ محبة سيده على محبة نفسه ومحبة الخلائق, يبدأ بمحبة مولاه قبل محبة نفسه ومحبة الخلائق.

الثالثة: الأنسُ به والاستثقال لكل قاطع يقطعُ عنه, أو شاغل يشغلُهُ عنه.

الرابعة: الشوق إلى لقائه والنظر إلى وجهه.

الخامسة: الرضا عنه في كل شديد وضرًّ ينزلُ به.

السادسة: اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم.

* خير الناس للناس أنفعهم لهم, ولا نفع أعظم من الدعاء إلى التوحيد والطاعة, والنهي عن الشرك والمعصية.سئل الحسن البصري عن رجل له أم فاجرة.فقال: يقيدها فما وصلها بشيء أعظم من أن يكفها عن معاصي الله تعالى.

* من علامات المحبة الصادقة, أن المحب يشتغلُ بما يرضى به حبيبه ومولاه, ويستوي عنده من حمده في ذلك أو لامه.

سيرة عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز

قال الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ *أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٦]

ومعنى قوله: ﴿ ذَكَرُوا اللَّهَ ﴾ أي: ذكروا عظمته وشدة بطشه وانتقامه, وما توعد به على المعصية من العقاب, فيوجب ذلك لهم الرجوع في الحال والاستغفار وترك الإصرار.

تقرير القواعد وتحرير الفوائد

يأبى اللهُ العصمة لكتابٍ غير كتابه والمُنصفُ من اغتَفَرَ قليلَ خطأِ المرءِ في كثيرِ صوابه

* قال الحسن: تفقدوا الحلاوة في الصلاة, وفي القرآن, وفي الذكر, فإن وجدتموها فامضوا وأبشروا, وإن لم تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق.

* قال ابن مسعود: لا يسأل أحد عن نفسه غير القرآن, فمن كان يحبُّ القرآن فهو يحبُّ الله ورسوله.قال سهل التستري: علامةُ حبِّ الله, حبُّ القرآن. وقال أبو سعيد الخراز: من أحب الله أحب كلام الله, ولم يشبع تلاوته.

* اعلم أن سماع الأغاني يضادُ سماع القرآن, من كل وجهٍ, فإن القرآن كلام الله, ووحيه ونوره, الذي أحيا به القلوب الميتة, وأخرج العباد به من الظلمات إلى النور والأغاني ولآتها مزامير الشيطان, فإن الشيطان قرآنه الشعرُ, ومؤذنه المزمار, ومصائدهُ النساء. كذا قاله قتادة وغيره من السلف

والقرآن تُذكر فيه أسماء الله, وصفاتُهُ وأفعالُهُ, وقدرتُهُ وعظمتُهُ, وكبرياؤه وجلالُه, ووعده ووعيده.

والأغاني إنما يُذكرُ فيها: صفات الخمر والصور المحرمة, الجميلة ظاهرها المستقذر باطنها التي كانت تُرباً, وتعود تراباً,

وهذا السماع المحظور يُسكرُ النفوس, كما يُسكر الخمرُ وأشدُّ, ويصدُّ عن ذكر الله, وعن الصلاة, كالخمر والميسر.

ويوجب أيضاً سماع الملاهي: النفرة عن سماع القرآن, كما أشار إليه الشافعي رحمه الله, وعدم حضور القلب عند سماعه, وقلة الانتفاع بسماعه, ويوجب قلة التعظيم لحرمات الله, فلا يكاد المدمن لسماع الملاهي يشتد غضبه لمحارم الله تعالى إذا انتهكت....ومفاسد الغناء كثيرة جداً.

لما كان للمؤمن داران: دار يرتحل منها, ودار ينتقل إليها ويقيم بها, أمره أن ينقل من دار ارتحاله إلى دار إقامته, ليعمرها من بعض ما أعطاه في دار ارتحاله.

وربما أخذ منه كُرها ما يعمر به دار إقامته, ويكمل له به عمارتها وإصلاحها, ويقدم له إليها ما يحب, من: أهل, ومال, وولد, يسبقونه إليها ليقدم على ما يحب...وإن كان المؤمن لا يشعر بذلك.

فما فرَّق إلا ليجمع, ولا أخذ إلا ليرد, ولا سلب إلا ليهب, ولا استرد العوارى إلا ليردها تمليكاً ثابتاً لا استرجاع فيه بعد ذلك.

سبحان من أنعم على عباده بما خولهم من المال والولد, ثم استرجع بعض ذلك منهم كُرهاً, وعوَّضهم الصلاة والرحمة والهُدى, وذلك أفضل مما أخذ.

مختصر فيما رُوي عن أهل المعرفة في معاملة الظالم السارق

* قال الله عز وجل: ﴿ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء:١٤٨] قال الحسن: قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه, وذلك قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ ومن صبر فهو خير, وقال: قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه, من غير أن يعتدي عليه. وروي عنه, قال: لا تدع عليه, ولكن قل: اللهم أعنّي عليه, واستخرج حقي منه.

* شكا رجل إلى عمر بن عبدالعزيز رجلاً ظلمه, وجعل يقع فيه, فقال له عمر: إنك أن تلقى الله ومظلمتك كما هي, خير لك من أن تلقاه, وقد استقضيتها.

وقال أيضاً: بلغني أن الرجل ليظلم بمظلمة, فلا يزال المظلوم يشتم الظالم وينتقصه, حتى يستوفي حقه, ويكون للظالم الفضل عليه.

* قال بعض السلف: خوف الله تعالى منع قلوب المؤمنين الصادقين عن زهرة الدنيا وعوارض الشبهات,...فأصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله عز وجل, وإذا فارق خوف الله الجسد خرب حتى أن المار يمر بالمجلس فيقولون بئس العبد فلان فيقول بعضهم لبعض: ما رأيتم منه؟ فيقولون: ما رأينا منه شيئاً غير أنا نبغضه, وذلك أن خوف الله فارق جسده.

* أعظم عذاب أهل النار حجابهم عن الله عز وجل, وإبعادهم عنه, وإعراضه عنهم, وسخطه عليهم, كما أن رضوان الله على أهل الجنة أفضل من كل نعيم الجنة, وتجليه لهم ورؤيتهم إياه أعظم من جميع أنواع نعيم الجنة.

* لا يزال أهل جهنم في رجاء الفرج إلى أن يذبح الموت, فحينئذ يقع منهم الإياس وتعظيم عليهم الحسرة والحزن.

أهوال القبور

العارفون بالله, المنقطعون إليه في الدنيا, والمستأنسون به دون خلقه, فإن الله بكرمه وفضله لا يخذلهم في قبورهم, بل يتولاهم, ويؤنس وحدتهم, فـ (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) [النحل:١٢٨]

* ذكر ابن أبي الدنيا عن عبيد الله بن محمد التميمي, قال: سمعت أبا بكرٍ التميمي_شيخاً من قريش_ قال: كان يُقال: إن ضمة القبر إنما أصلها أُمُّهم, ومنها خلقُوا, فغابوا عنها الغيبة الطويلة, فلما ردُّوا إليها أولادها, ضمتهم ضمَّ الوالدة التي غاب عنها ولدُها, ثم قدم عليها, فمن كان لله عز وجل مطيعاً ضمتهُ برأفةٍ ورفقٍ, ومن كان لله عاصياً ضمته بعنفٍ, سخطاً منها عليه لربها.

* استحسن الإمام أحمد ما حكي عن حاتم الأصم, أنه قيل له: أنت رجل أعجمي لا تفصح, وما ناظرك أحد إلا قطعته فبأي شيء تغلب خصمك؟ فقال: بثلاث: أفرح إذا أصاب خصمي, وأحزن إذا أخطأ, وأحفظ لساني عنه أن أقول له ما يسوؤه, أو معنى هذا, فقال أحمد: ما أعقله من رجل.

* قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تظنَّ بكلمةٍ خرجت من أخيك المسلم سوءاً وأنت تجدُ لها في الخير محملاً.

* قال الفيضل: المؤمن يسترُ وينصحُ, والفاجر يهتكُ ويعيِّر.وكان يقال: "من أمر أخاه على رؤوس الملأ فقد عيره" أو بهذا المعنى. فشتان بين من قصده النصيحة وبين من قصده الفضيحة, ولا تلتبس إحداهما بالأخرى إلا على من ليس من ذوي العقول الصحيحة.

* وعقوبة من أشاع السوء على أخيه المؤمن, وتتبع عورته, وكشف عورته, أن يتبع الله عورته ويفضحه ولو في جوف بيته, كما روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه, وقد أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من وجوه متعددة.

* من بلي بشيء من هذا المكر فليتق الله, ويستعن به ويصبر, فإن العاقبة للتقوى, وقد أخبر الله تعالى أن المكر يعود وباله على صاحبه, قال تعالى: (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) [فاطر:٤٣] والواقع يشهد بذلك, فإن من سبر أخبار الناس, وتواريخ العالم, وقف على أخبار من مكرَ بأخيه فعاد مكرُهُ عليه, وكان ذلك سبباً لنجاته وسلامته على العجب العجاب.

*كتاب تاريخ البخاري, كتاب جليل لم يسبق إلى مثله رحمه الله ورضي الله عنه, وهو جامع لذلك كله...وللبخاري تصانيف كثيرة, وقد سبق الناس إلى تصنيف الصحيح والتاريخ, والناس بعده تبع له في هذين الكتابين, إذ كل من صنف في هذين العلمين يحتاج إلى كتابه.

* الوصل والإرسال والوقف والرفع...صنف في ذلك الحافظ أبو بكر الخطيب مصنفاً حسناً سماه " تمييز المزيد في متصل الأسانيد"

* قال ابن مهدي: لا يكون إماماً في الحديث من يحدث بكل ما سمع, ولا يكون إماماً في العلم من يحدث عن كل أحد, ولا يكون إماماً في العلم من يحدث بالشاذ من العلم, والحفظ الإتقان.

* ذكر الترمذي رحمه الله أنه إنما وضع كتابه هذا على الاختصار لما رجا فيه من المنفعة وهو تقريبه على طلبة العلم, وكان قد وعد بكتاب أكبر منه يستوعب فيه الأحاديث والآثار ثم سأل الله عند فراغ كتابه النفع بما فيه وأن لا يجعله وبالاً عليه برحمته, وقد ظهرت آثار إجابة دعائه الأول, وحصل النفع بهذا الكتاب نفعاً عاماً.

* سأل على بن المبارك الكرخي (ت٤٨٧هـ) رجلاً: إذا مشيت مع من تعظمه أين تمشي منه؟ فقال: لا أدري, قال: عن يمينه, تقيمه مقام الإمام في الصلاة, وتخلي له الجانب الأيسر, فإذا أراد أن يستنثر أو يزيل أذى جعله في الجانب الأيسر.

* ذكر يحيى بن عبدالوهاب بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي الأصبهاني (ت٥١١هـ) بسنده إلى أبي حامد الخلقاني أنه قال: قلت لأحمد بن حنبل: ما تقول في القصائد؟ فقال: في مثل ماذا؟ قلتُ: مثل ما تقول

إذا ما قال لي ربي أما استحيت تعصيني

وتُخفى الذنوب عن غيري وبالعصيان تأتيني؟

قال: فرد الباب, وجعل يقول:

إذا ما قال لي ربي أما استحيت تعصيني

وتُخفى الذنوب عن غيري وبالعصيان تأتيني؟

فخرجتُ وتركته.

* قال أبو الوفاء ابن عقيل: إني لا يحل لي أن أُضيع ساعة من عمري, حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة, وبصري عن مطالعة, أعملت فكري في حال راحتي وأنا مستطرح, فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره. وإني لأجدُ من حرصي على العلم. وأنا في عشر الثمانين أشدّ مما كنت أجدهُ وأنا ابن عشرين سنة.

ولما توفي ابن له, أكب عليه وقبله وهو في أكفانه, وقال: يا بني, استودعك الله الذي لا تضيع ودائعه, الربُ خير لك مني.

وكان يقول: لولا أن القلوب توقن باجتماع ثانٍ لتفطرت لفراق المحبوبين.

* قال الحافظ أبو موسى ابن الحافظ عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي (ت٦٠٠), مرض والدي رحمه الله مرضاً شديداً, منعه من القيام والكلام, واشتد به مدة ستة عشر يوماً, وكنت كثيراً ما أسأله: ما تشتهي؟ فيقول: أشتهي الجنة.أشتهي رحمة الله تعالى, ما بقي إلا الموت, اشتهي النظر إلى وجه الله تعالى.

فقلت: توصني بوصية, فقال: لا تضيعوا هذا العلم الذي تعبنا عليه_يعني الحديث_ يا بني: أوصيك بتقوى الله, والمحافظة على طاعته.فقلت: ما أنت عني راض؟ فقال: بلى والله, أنا عنك راض وعن إخوتك

* قال إبراهيم بن عبدالواحد المقدسي(ت٦١٤هـ) لرجل: أكثر من قراءة القرآن, ولا تتركه فإنه يتيسر لك الذي تطلبه على قدر ما تقرأ, قال الرجل: فرأيت ذلك وجربته كثيراً, فكنت إذا قرأت كثيراً تيسر لي من سماع الحديث وكتابته الكثير, وإذا لم أقرأ لم يتيسر لي.* قال القاضي سليمان بن حمزة بن قدامة المقدسي رحمه الله (ت٧١٥هـ): لم أصل الفريضة قط منفرداً إلا مرتين, وكأني لم أصلهما قط.

لطائف المعارف

* قول النبي صلى الله عليه وسلم:(لا عدوى, ولا طيرة, والشؤم في ثلاث: في المرأة والدار والدابة) خرجاه في الصحيحين فقد اختلف الناس في معناه.قال معمر: سمعت من يفسر هذا الحديث يقول:"شؤم المرأة" إذا كانت غير ولود و"شؤم الفرس" إذا لم يكن يغزي عليه في سبيل الله, و"شؤم الدار" جار السوء.

فترك ما لا يجد الإنسان فيه بركة من دار أو زوجة أو دابة غير منهي عنه, وكذلك من اتجر في شيء فلم يربح فيه ثلاث مرات فإنه يتحول عنه. روي ذلك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه, فإنه قال: من بورك له في شيء فلا يتغير عنه.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
تفسير سورة الإخلاص	٤
تفسير سورة النصر	٦
شرح حديث اختصام الملأ الأعلى	٧
شرح حديث وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس	١٨
شرح حديث "ما ذئبان جائعان"	٢٧
شرح حديث " لبيك اللهم لبيك "	٢٩
شرح حديث " لن ينجي أحد منكم عمله"	٣١
شرح حديث " إن أغبط أوليائي عندي "	٣١
شرح حديث "مثل الإسلام"	٣١
شرح حديث " تمثيل المؤمن بخامة الزرع"	٣٢
شرح حديث " يتبع الميت ثلاث "	٣٢
شرح حديث شداد بن أوس	٣٣
شرح حديث "اللهم بعلمك الغيب"	٣٤
جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم	٣٥
فتح الباري شرح صحيح البخاري	٤٦
كلمة الإخلاص وتحقيق معناها	٥٢

رسالة: إنما يخشى الله من عباده العلماء	٥٣
فضل علم السلف على علم الخلف	٥٧
الخشوع في الصلاة أو الذل والانكسار للعزيز الجبار	٦٢
استنشاق نسيم الأنس	٦٤
سيرة عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز	٦٥
تقرير القواعد وتحرير الفوائد	٦٥
نزهة الأسماع في مسألة السماع	٦٦
تسلية نفوس والرجال عند فقد الأطفال	٦٧
مختصر فيما رُوي عن أهل المعرفة في معاملة الظالم السارق	٦٧
التخويف من النار	٦٨
أهوال القبور	٦٨
الفرق بين النصيحة والتعيير	٦٩
شرح علل الترمذي	٧٠
الذيل على طبقات الحنابلة	٧١
لطائف المعارف فيما لمراسم العام من الوظائف	٧٢
فهرس الوضوعات	